HUNTER OF THE DEAD

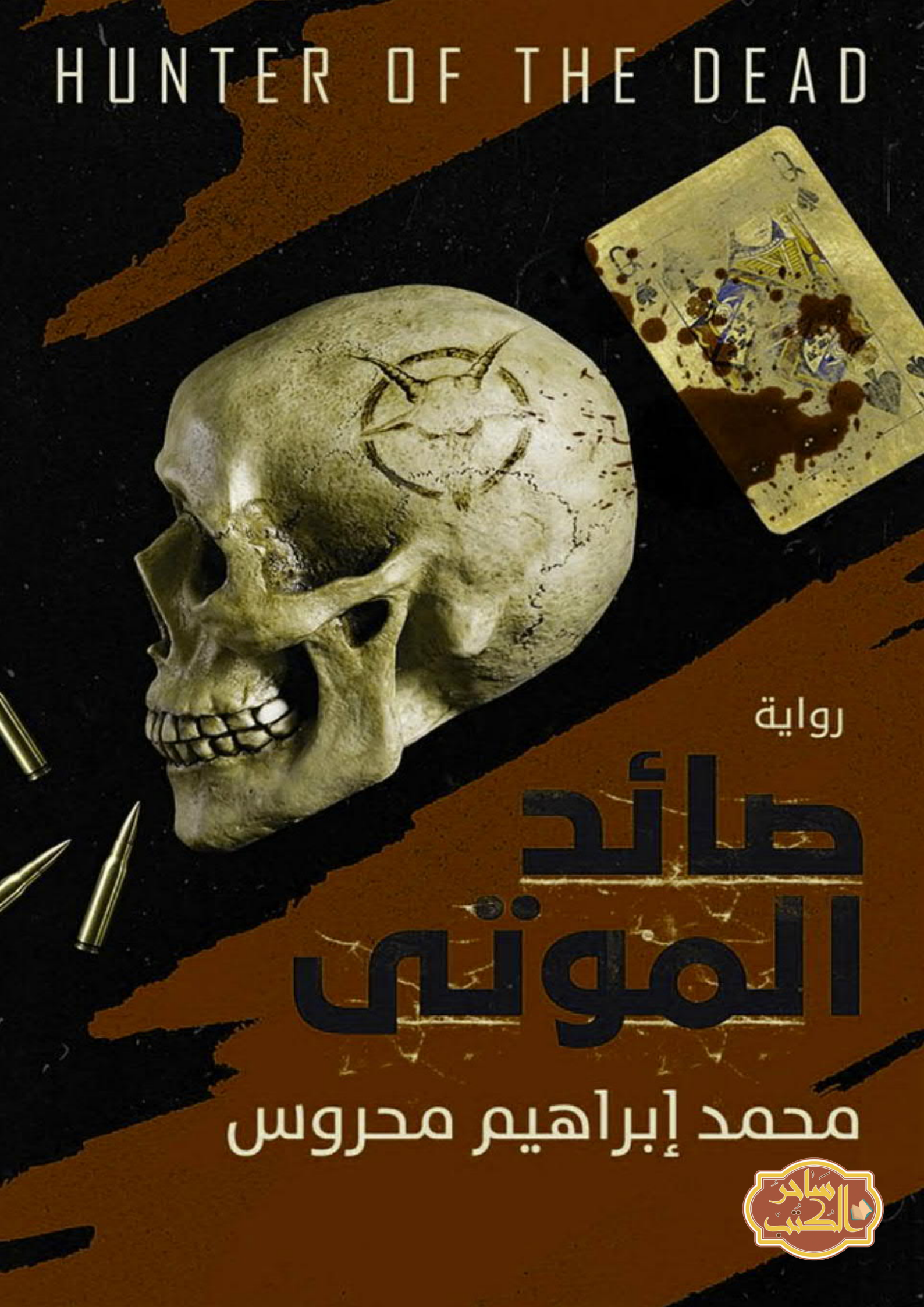

رواية

صائد الموتى

محمد إبراهيم محروس

صائد الكتب

(١)

سماء ملبدة بالغيوم، أمطار رعدية من وقت لآخر، شبح متشح بالسواد يحكم سترته على جسده النحيف ويتحرك بعجلة وهو ينظر وراءه من حين لآخر بقلق بالغ.

منطقة منعزلة، شواهد قبور، يعبر منها ذاك الشخص النحيف الذي سنعرف فيما بعده أن اسمه عماد الخولي وأنه.

سنعرف فيما بعد.

الآن نراه يتحرك وقد ارتسم على وجهه ملامح الإعياء والإرهاق فهو قد غادر المستشفى منذ ساعات قليلة.

كان هناك جرح غائر في بطنه إثر مشاجرة دفع إليها دفعًا.

سنعرف أنه بعد وفاة والدته بشهرين جاءه قرار من صاحب العمارة القديمة بالطرد، لأن أمه لم تدفع الإيجار منذ فترة طويلة، برغم أن الرجل صاحب العمارة كان دومًا أثناء مرض أمه يقول إنه لا يحتاج الإيجار الآن ويدعو لها بالصحة.

لم يكن عماد الخولي قد عرف بعد أن الحاج توفيق عمار قد رفع قضية منذ فترة في المحاكم لطرده هو وأمه، وأن كل الرسائل التي كانت تحدد مواعيد الجلسات كان هو يستلمها بنفسه ويخفيها عنهما، حتى صدر قرار الطرد النهائي.

قبل موت أمه بأسبوعين أعطته تلك المفاتيح التي يقبض عليها بيده بقوة في تلك اللحظة، وهو يقطع الطريق متوجسًا خيفة متلفتًا حوله والقلق يعصف بكيانه، وبيده الأخرى يضغط على مكان تقطيب الجرح الذي أصابه من مطواة ابن الحاج توفيق عندما تشاجر معه، وهو يتهمه بالافتراء والجور عليه وأنه إنسان حقير، فما كان من صبحي ابن توفيق إلاّ أن غرز مطواته في بطنه.

لقد عمل له ولأبيه محضرًا في القسم وأخذ التقرير الطبي، ولكن عماد كان يدرك جيدًا أن الحاج توفيق بصلاته الكثيرة سينهي الأمر لصالحه، وهذا ما حدث للأسف.

لقد سبق الفتى ابنه إلى القسم وحرر محضر تعدي من عماد على أبيه وعليه وأتى بشهادات طبية وشهود زور.

تنازل أمام تنازل وإلاّ الحبس للطرفين والعرض على النيابة وهي تقرر، فما كان من عماد إلاّ أن يتنازل راضخًا للقانون العابث.

تأمل الطريق الترابي وهو يصعد تلك الربوة الغريبة.

لم يأت هنا من قبل، ولكن العنوان ووصف أمه له كان يشعره بالألفة برغم خوفه.

الجرح يؤلمه قليلا، لقد هبط من الميكروباص بعيدًا عن

المكان وقال له السائق إنه لا يدخل لتلك الأماكن فهي موبوءة بالقتلة والشمامين.

هبط عماد من الميكروباص ليسير لأكثر من نصف ساعة للآن حتى يصل إلى المكان الذي يأمل بالوصول إليه؛ ليرتاح مؤقتًا على الأقل.

ترك المقابر خلفه منذ فترة، دخل وسط بيوت وطئة مسقفة بطريقة عشوائية، الساعة تجاوزت الواحد ليلاً، هناك بصيص من نور يخرج من بعض البيوت المتناثرة بدون تنسيق هندسي بطريقة لافتة للنظر، لا منزل يشبه الآخر في طريقة بنائه.

امتدت أمامه مساحة فارغة وتحولت الأرض تحته لكتلة طينية، بدأ يسحب رجله بصعوبة وهو يخطو خطوات يضع فيها كل عزمه حريصًا على ألاّ يقع في حفرة من الحفر المنتشرة حوله.

الظلام راح يزداد بعنف والأضواء التي كانت تنير له الطريق قليلا اختفت تقريبًا.

أضاء نور هاتفه المحمول وراح يتحسس خطواته مما زاد من صعوبة المشوار عليه.

المطر لم يتوقف بعد ولكن هدأ لحد كبير.

أخيرًا بعد ربع ساعة أخرى وجد نفسه أمامه.

كما وصفته أمه بالضبط، باب من الصاج مغلق من الأمام وهناك قفل ضخم عليه.

لم يكن في صحة تسمح له برفع الباب الآن، وصوت الباب قد يلفت النظر لوجوده وسط ذلك السكون الغريب، هو لم يعد العدة بعد للمفاجآت التي ستقابله في تلك المنطقة بكل تأكيد.

الغريب أن الباب وحالته تقول ألا أحد اقترب منه برغم وجوده في تلك المنطقة العجيبة.

دار من الخلف حسب كلام والدته، وجده بالفعل، بابا آخر خشبيًا بقفلين صغيرين، وترباس ضخم بقفل أكبر.

ثلاث أقفال على باب خشبي قديم!

فوق الباب كان هناك نحت غريب الشكل لخفاش ضخم بوجه بشري، رفع عماد نور كشاف هاتفه المحمول وألقى نظرة عليه جعلته يتراجع للخلف متخوفًا لبرهة، قبل أن يحزم أمره ويبدأ في تجريب المفاتيح التي معه على الباب الخشبي.

وبعد مدة قصيرة كان يدفع الباب ببطء ويدخل.

قابلته رائحة العطن والغبار؛ فكتم أنفاسه وهو يتحرك بتؤدة متحسسًا خطواته.

ممر صغير يفصل الباب الخشبي عن البهو الذي دخله، الظلام أشد حلكة بالداخل، وجه كشاف الهاتف على الصور الكثيرة على الحيطان حوله والمنتشرة تقريبا في كل مكان بالداخل.

إنه داخل أستوديو، بالضبط كما وصفته أمه، فتش عن مصدر النور، وضغط على زر الإضاءة ولكن كما توقع لم يتغير شيء، ما زال الظلام حوله، والتراب في كل مكان.

اتجه لباب آخر خشبي جرب مفتاحًا عليه ففتح من أول مرة، عشر درجات للأسفل كما وصفت أمه بالضبط، غرفة بدروم بحجم المكان، لمح في وسط المكان على الضوء الشاحب شمعدان قديمًا وشموعًا كثيرة، أشعل شمعتين ولصقهما على مائدة صغيرة وبدأ الضوء الشاحب يقطع حلكة الظلام شيئًا فشيئًا.

الشمعدان أيضا شكله غريب جدّا ويبدو أن عمره مئات السنين، لا بدّ إنه من ميراثه أيضًا، كتم ضحكة عابثة بدت كابتسامة ضعيفة على شفتيه.

عفوًا، لم أعرفكم على المكان، فإنه استوديو جده.

ميراثه كما قالت له أمه قبل أسبوعين.

كان هناك كنبة بسيطة في الجنب، أزاح أكوام التراب والغبار جانبًا عنها بصعوبة ومشقة، ألقى عماد جسده عليها أخيرا

وهو يتنفس بعمق.

كان الهواء مكتومًا ولكنه صالح للتنفس.

وشعر بالتعب يزداد عليه قبل أن يسقط في النوم.

تاركًا كل شيء خلفه لما بعد.

ولم يكن يعرف أنه بدأ مشوارًا جهنميًا وقدريًا لا فكاك منه.

* * * * *

تحسس عماد شعره وهو يستيقظ، كان يشعر بالارتياح، طقطق رقبته وهو يعتدل على الكنبة، كان هناك شيء ليس في مكانه، شعر للحظة أن هناك خطأ ما.

بالفعل تطلع لنفسه بعد أن فتح عينيه وهاله ما رأى، فقد كان يرتدي بدلة كاملة وهناك رباط عنق محلول وموضوع على كرسي خشبي، إنه لم يملك بدلة من قبل!

وجد مفاتيح الاستوديو أمامه وبجوارها مفاتيح أخرى لا يعرفها، قلب المفاتيح في يده وكان بها مفتاح لسيارة حديثة كما يظن؟ من أين أتى كل هذا؟

وكان ينام أمس وهو يرتدي بنطلون جينز وقميصًا، أين اختفى هذا؟ وكيف تبدل حاله هكذا؟

الأشد غرابة أن الغرفة كانت مضاءة، وهناك لمبة نيون جديدة

فوق رأسه تشع نورًا أبيض.

انفغر فاهه دهشة وارتسمت على ملامحه معالم الذهول للحظات وظل مرتكنا بيده على الكنبة جالسًا وهو يهز رأسه ظانا أنه يحلم وهو يتحسس جسده، إنه يظن أنه زاد فجأة عدة كيلو جرامات..

لم يكن عماد يحلم، هناك شيء فوق تصوراته وخيالاته حدث، قلب المفاتيح الغريبة في يده قبل أن يضعها في جيب البدلة.

أصابته الحيرة والبلبلة عندما تحسس مكان جرحه فوجده قد شفي تقريبًا والتئم الجرح.

ما هذا العبث الذي يصيب عقله؟!

لا بدّ أنه يحلم الآن بالفعل وسيفيق ليجد نفسه بملابسه القديمة وبجرحه المقطب كما هو.

ولكن لدقائق طويلة ظل ينتظر تلك الإفاقة التي لم تحدث.

مرّث ساعة تقريبًا وهو لا يتحرك، آلاف الأفكار دارت برأسه ولم يفهم شيئًا.

وبدأ يجمع أفكاره من جديد ويحاول تذكر كل شيء.

بالأمس جاء إلى هذا الأستوديو بجرح مقطب في جسده وجرح في الروح أيضا بعدما فشل في حماية نفسه بعد وفاة

أمه.

فكيف يرى نفسه بتلك الصورة، ومن أعاد إضاءة الاستوديو؟

إنه يتذكر كلمات أمه إن أحدًا لم يدخل هذا المكان منذ وفاة جده أو اختفائه من عشر سنوات، عرضوه أكثر من مرة للبيع ولكن المشترين كانوا يهربون دون سبب قبل إتمام الصفقة.

سيحاول أن يقف لينظر حوله، خلع جاكت البذلة ووقف بالقميص والبنطلون، كان المكان قد نظف بطريقة ما لا يعلمها واختفى التراب، الشمعدان في مكانة، وبضع شموع ملقاة في إهمال على المائدة، شموع كانت تنتظر عشر سنوات ليأتي من يشعلها.

يصعد السلالم العشر للردهة فوق، الردهة أيضا طالتها يد التغير، فالصور تلمع في أطرها على الحائط، والأرض نظيفة ولامعة أيضًا.

بحث بعينه عن الحمام الملحق بالردهة، وخطا نحوه، دخل وفتح صنبور المياه، سالت المياه أمامه.

للحظة شك أن لا وجود لمياه هنا، عشر سنوات مدة كافية ليقطعوا المياه والنور عن ذاك المكان.

ولكن النور جاء، والمياه موجودة، غسل وجهه ووجد منشفة نظيفة وراء باب الحمام نشف وجهه ويديه وخرج.

عماد حقًا في حيرة من أمره، هل يهرب من هذا المكان الآن وقبل أن يجن؟

فما حدث له غير طبيعي بالمرة، ولكن شيء بداخله كان يدعوه للانتظار والتمهل، ليفهم أولا ما يجري، وبعدها يقرر.

عاد إلى الغرفة السفلية بعد لحظات، لم يكن لديه وقت أمس ليتأمل الغرفة ليعرف تفاصيلها، كانت هناك مرآة ضخمة بإطار خشبي قديم تحتل منتصف الحائط المواجه للكنبة، أسفل المرأة هناك كومود صغير، بثلاث أدراج، وبجواره صندوق ضخم قديم بقفل صغير، وبجوار المرآة عدة صور قديمة في أطر خشبية أيضا معلقة على الحائط وأسفل الحائط على الأرض هناك عشرات الصور الموضوعة في براويز مرصوصة فوق بعض وبعضها ساقط وقد تهشم جزء من إطارها، وهناك زجاج سميك يحمي تلك الصور، تأمل عماد الصور للحظة، وعاد ليتأمل ذلك الشمعدان القديم، والمائدة الصغيرة، وكان هناك مقعدان قديمان ذهبيان ملقى عليهما عدة شرائط نجاتيف محمضة لصور قديمة، هناك صور كثيرة أبيض وأسود،وصور أخرى ملونة، شيء بداخله جعله لا يحدق في الصور كثيرا أو يتوقف عليها بعينيه.

إنه لا يعرف ما الذي عليه فعله الآن، فقد جاء فقط هنا ليستقر قليلا، لا مكان آخر يلجأ إليه الآن، يتذكر حديث أمه عن جده،

ذاك الجد الذي كانت هناك مشاجرات كثيرة بين أمه وأبيه حوله، والذي كان يمنعه الأب عن دخول بيته بعد مشاجرة عنيفة سابقة يتذكر عماد أنه حضرها ولكنه لا يتذكر تفاصيلها أو أسبابها جيدًا، ولكنه يتذكر كلمة السحر التي ترددت كثيرا من بين شفتي ابيه في المشاجرة.

كان يرى أمه تبكي كثيرا عندما تجيء سيرة والدها، وكيف كانت ترجو الأب أن يترك لها فسحة من الوقت لزيارته، ويتذكر عماد ذلك اللقاء الذي حكته له أمه بعد وفاة ولده هو عن حضور الجد للجنازة والدفن، وعن ذاك الميراث الذي تركه لها ولابنها، وعن أشياء كثيرة حكتها له أمه منذ عشر سنوات قبل أن يختفي الجد نهائيا بعد أن أعطى لابنته مفاتيح الأستوديو وطلب منها أن تحافظ عليه بحياتها، وألا تفكر في بيعه، وبعد اختفائه بسنوات حاولت بيعه أكثر من مرة كما قالت لعماد، ولكنه دوما بيع لا يتم.

لن يشغل باله الآن في استعادة الذكريات فسيأتي وقتها، عليه في تلك اللحظة أن يفكر ويقرر ما الخطوة التالية بعد حضوره لهنا.

تساءل بينه وبين نفسه لماذا اختار جده تلك المنطقة الغريبة لفتح أستوديو بها، فلا المكان مناسب ولا طبيعة الزبائن التي ستأتي لهنا ستعود عليه بربح كبير، جده أيضًا كان مثير

للريبة، يبدو كشخصية أسطورية البحث عن تفاصيلها قد يصيبه بالجنون.

عشر سنوات أو أكثر قليلًا منذ اختفاء الجد كافية لينسى عماد تفاصيله وشكله، ولكنه حاول استعادتها في عقله عدة مرات، وفي النهاية شعر بأنه لو جده حي للآن وقابله صدفة فأن عماد لن يتعرف عليه بسهولة.

أنفاسه بدأت تضيق بالمكان، أنه يحتاج لهواء، يظن أن الغرفة نفسها تحتاج لتجديد هوائها لماذا جعل جده غرفة نومه وراحته هنا في الأسفل.

تذكر عماد أنه لم يصعد بعد السلم الحلزوني الذي يقود للسقيفة أو الطابق العلوي، سيؤجل هذا عندما يعود.

يعود من أين؟! لديه حياة ليعيشها.

سيذهب لذلك المحل الذي يعمل به ليلا وسيقابل هدى حبيبته، وربما ذهب بعد ذلك للمقهى ليتقابل مع أصدقائه، حياة يجب أن يعيشها، هكذا راح يحدث نفسه وهو يرتدي جاكت البذلة ويمد يده ليضع المفاتيح في جيب البذلة، وقتها اصطدمت يده بشيء، تحسسته أصابعه، ثم أخرجه ونظر فيه في دهشة عارمة، كان رزمة من النقود من فئة المائتين، رزمة ضخمة، فرها بين يديه في ذهول.

إنه مبلغ لم يتصور أن يتحصل عليه من قبل، بحسبة بسيطة ما في يده الآن يفوق المائة ألف جنيها، ما هذا العبث؟! ضحك ضحكة جنونية وهو يتأمل الرزمة لمرة العشرين على الأقل، بذلة جديدة، وجرح ملتئم بين يوم وليلة، ورزمة من النقود في جيبه، وزيادة في الوزن، أصبح أقرب للرياضي، وأستوديو جده بالتغيرات التي حدثت بين يوم وليلة.

أشياء تجعله يقرر الهرب من هنا والآن وبأية طريقة.

ولكن عقله رفض تصديق واقعية هذه الأشياء كلها وقرر أنه سيعود للمكان بكل تأكيد على الأقل ليفهم ما يحدث، ولماذا يحدث؟

وجاءت له فكرة عجيبة أن جده حي وهو ما فعل به هذا وهو من ترك له النقود، ولكن هل يفسر هذا التئام جرحه بين ليلة وضحاها، السحر كررها لنفسه مرات، الأمر شائك، ويحتاج للعقل المتزن والتفكير المنظم، وهو مشهور عنه أنه منظم التفكير فلماذا يفقد الآن قدرته على ترتيب أفكاره بصورة منطقية.

في النهاية غادر عماد المكان، أغلق الباب الخشبي خلفه وأعاد الأقفال لأماكنها.

كان المبلغ في جيبه، فوضع يده بداخل جيبه وقبض عليه

بشدة وهو ينظر حوله، كانت هناك عربة كارو بحمارين تعبر الآن بجواره، هناك صبي في العاشرة من العمر تقريبًا يمسك لجام العربة وخلفه كان هناك جوال ضخم محمل بالقمامة، نظر الصبي لعماد واتسعت عيناه وراح يضرب الحمارين بعصا غليظة ويحسهما عن الهرب من أمام عماد..

أطل الرعب من عيني الصبي مما جعل عماد يتلفت حوله وهو يحاول أن يفهم ما الذي أرعب صبي كهذا لا يخاف الشوارع.

لم يأخذ الأمر من تفكيره الكثير، فالغموض الذي يحيط به منذ استيقظ أكثر إثارة لمخيلته الآن.

تنام وأنت مفلس ولا تملك قوت يومك، تصحو لتجد آلاف الجنيهات في جيبك، هل كنت تنام في بنك؟

ضحك عماد لهذا الخاطر وهو يمرّ بجوار المقابر القريبة من الأستوديو، المقابر خلفه، والطريق الأسفلتي بدأ يظهر عن بعد، سيتمشى قليلاً، ويوقف عربة ليقذف نفسه بداخلها، إلى أين؟

لم يحدد عماد وجهته بعد، في العادي كان سيذهب للمحل الذي يعمل به ويعتذر لصاحبه عن غيابه الفترة السابقة ويستعطفه أن يعود للعمل.

الآن في جيبه رزمة من الأوراق النقدية تكفيه عن ذل

الحاجة، برغم الاستحالة المنطقية لوجود هذا المبلغ معه، ولكنه ما حدث.

أخيرا ظهر الطريق المرصوف، وظهرت عربات الميكروباص والتكاتك التي تقطعه طولًا وعرضًا بلا نظام تقريبًا.

رمى نفسه في أقرب ميكروباص وقد أخذ قراره بأن يتصل بأصدقائه ليعرف أين هم، فهو يحتاج لشخص ليحكي معه، هل حقًا سيخبرهم بما صار له؟ المهم أن يغادر المنطقة الآن، وبعدها يفكر كيف سيتصرف.

كان شكله في الميكروباص مثيرا للحيرة، ولكنه لزم مكانه في الكرسي الأخير، بجانبه سعدة تجاوزت الخمسين، تحمل طفلاً في الخامسة تقريبًا على حجرها، وشاب قلق النظرات بجانبها، بينما تراصت أمامه عدة رؤوس لا وقت ولا عقل ليبحث فيما ورائهم، سيكتفي أن يظل محشورًا بين جانب السيارة والسعدة حتى أقرب مكان يستطيع أن يستقل منه عربة أجرة.

ارتفع رنين هاتف محمول فجأة في العربة، انطلقت الرؤوس في الاهتزاز والعيون في التحديق فيما بينهم، والهاتف يواصل الرنين بلا توقف.

هزّ عماد رأسه مثلهم لوهلة عندما شعر أن الصوت صادر من

جيب بذلته الداخلي، مد يده ببطء فخرجت بهاتف محمول شكله يدل أن ثمنه تجاوز آلاف الجنيهات.

حدق عماد في الهاتف لوهلة في ذهول ولعيون الركاب التي كانت تدعوه أن يرد بينما الآذان شرعت للتنصت على المكالمة.

لمس شاشة الهاتف لأعلى ليرد على المكالمة وداخله يتساءل من المتصل فالرقم غريب، الأغرب بالنسبة له وقتها من أين أتى هذا الهاتف، وأين تليفونه القديم؟

جاءه صوت أجش قائلًا:

- أهلا يا باشا، ما أخبارك؟

- تمام كل شيء بخير، من معي؟

- ألم تسجل رقمي يا باشا؟ معقولة! لا يهم، أنا سعد، سعد خميس، الذي كنت تبحث عنه موجود الآن تحت يدي، وفي أي وقت تستطيع أن تقابلني لأخبرك بالتفاصيل.

- من الواضح أن النمرة خطأ.

- أي نمرة خطأ، أنا سعد خميس يا أستاذ عماد، كيف تكون النمرة خطأ أنا أعرف صوتك جيدًا، آه فهمت، بجوارك أحد؟

تطلع عماد لما حوله وللركاب وهو يجيب:

- نعم.

ارتفعت ضحكة قوية من الطرف الآخر قبل أن يجيء له صوت ذاك المدعو سعد ضاحكًا:

- فهمت، على العموم اتصل بي في أي وقت وأنا جاهز بما طلبته، سلام يا أستاذ عماد.

أغلق ذاك المدعو سعد خميس الاتصال لينهي المكالمة، تطلع عماد للركاب مرة أخرى وهو يضع الهاتف في جيب البدلة الداخلي، كان الطفل على حجر السعدة يرمقه في ثبات وبنظرة غريبة مقتحمة.

وجاء لعماد خاطر مضحك أنه لو استمر في الحديث في هذا الهاتف أكثر من هذا ربما هجم عليه الركاب وأخذوه منه عنوة.

نزل عماد في النهاية من ذاك الميكروباص الذي ظن لبرهة أنه سيأخذه للجحيم، تطلع للوجوه الشاحبة وللركاب خافضي الرؤوس وهو يطلب من السائق التوقف قبل أن يهبط والميكروباص يواصل طريقه للجحيم الأرضي بركابه.

أمس لم يكن يمثل له ركوب ميكروباص بهذه الصورة أي قلق أو توتر، بل كان هذا العادي، اليوم يشعر بأن ركوبه هذا الميكروباص خطأ لا يغتفر، أبضعة جنيهات في جيبه تفعل به كل هذه الأفاعيل، أمس لا بدّ أن ينساه.

كلاّ أمس بالذات لا بدّ أن يتذكره جيدًا، فهو ما يحمل الحل لكل تلك المفاجآت التي تلاحقه، يجب أولًا أن يتخلص من خوفه من الأحداث التي تلاحقه.

فهو لم يرتكب أي إثم فقد صحا من نومه ليجد نفسه شخصًا آخر تقريبًا، يجد شخصًا يملك أشياء لا يعرف من أين أتته، بل لثوان شعر أن تفكيره نفسه بدأ وكأنه سيتغير ويصير لشخص لا يعرفه.

بعد دقائق كان يقف في منطقة هادئة بعض الشيء، خلفه محل عصير قصب، طلب كوبا من العصير وراح يرشفه، أعطى لصاحب المحل ورقة بمائتي جنيه، ردها له البائع وهو يقول إنها ساعة اصطباح ولا يملك فكة بعد.

مد عماد يده في جيوبه اصطدمت يده بعدة أشياء، كان هناك كارت لشخص عليه اسم شركة، ونوتة صغيرة لا تتجاوز كف اليد وأشياء أخرى لم يملكها من قبل، وجدها ورقة نقدية بخمسة جنيهات مد يده بها للبائع وهو يضع الأشياء الأخرى في جيبه في عجلة.

لماذا لم يفتش جيوبه جيدًا في الصباح، المفاجآت الكثيرة أوقفت تفكيره في هذا الأمر، نظر للهاتف المحمول بين يده وتطلع للتاريخ المكتوب على شاشته، ١٦ مارس، الهاتف يجب أن يعدل تاريخه، سأل البائع عن الساعة وتاريخ اليوم، كانت

الساعة مضبوطة، وتقطب جبين عماد والبائع يخبره أنهم في ١٦ مارس، تبا! كيف هذا؟

الأمس بالنسبة له أول أسبوع في يناير، فكيف يكون اليوم في شهر مارس، أعاد على البائع السؤال، فأجابه البائع مؤكدًا أن اليوم هو السادس عشر من مارس، اللعنة!

أكثر من شهرين، كيف مرت هذه الأيام؟ هل نام كأهل الكهف؟ شهران وأكثر، مستحيل!

وضع الهاتف في جيبه، وتطلع للطريق أمامه، وأخذت الحيرة تنهش كيانه كله.

ما الذي يحدث له؟ كيف ضاع شهران وأكثر من حياته لا يتذكر عنهما شيئًا، وعرف في تلك اللحظة لماذا بدا جرحه ملتئمًا، ولكن ذلك لم يعط أية إجابة لكل هذه الألغاز التي بلا معنى.

لقد قرأ كثيرًا من قبل عن الفصام وتعدد الشخصيات، هل هو أصيب بمرض من أمراض النفسية العجيبة؟

وأخذ يتساءل عما دهاه والحيرة تتصاعد بداخله.

راح عقله يسبح في لجة من الأفكار غير المنتظمة والغريبة.

بينما الشوارع تكاد تختفي من أمام عينيه بسيارتها وناسها

ومحلاتها، ليظل وحيدًا في فراغ بلا نهاية.

* * * * *

(٢)

لم نعرف الكثير بعد عن عماد الخولي، من حيث السن إنه في السادسة والعشرين من العمر، من حيث المواصفات الجسدية متوسط الطول، جسده أقرب للنحافة سابقًا الآن أقرب لجسد الرياضيين، له عينان سوداوان واسعتان متألقتان، صلعة خفيفة في مقدمة رأسه، شعره أسود، من حيث الحالة الاجتماعية، أعزب، تربطه قصة حب بزميلة دراسة، هدى، جامعي، أنهى دراسته منذ أعوام، يعمل في محل ملابس، بحث عن عمل يناسب دراسته الجامعية كثيرًا وفشل مثل الكثيرين هذه الأيام، يتيم الأب والأم الآن، يكفي هذا كمدخل لمعرفته لهذه اللحظة.

نراه الآن في وسط البلد يتحرك تجاه شركة في شارع شريف، الساعة السابعة مساء، يمشي وهو يتلفت حوله كل لحظة، يشعر أن هناك من يراقبه.

منذ الصباح عندما عرف أن هناك شهرين اقتطعا من حياته فجأة وهو يتخبط كل ثانية.

وتظهر له مفاجأة جديدة.

لقد اتصل بهذا الرقم الذي وجده على كارت في جيبه.

جاءه صوت غاضب حاد وقتها متسائلًا لماذا يتصل به مرة

أخرى لقد انتهى كل شيء؟ ولِمَ يعاود الاتصال؟

شيء جعله يصمت، من الجلي أن الرجل يعرف الرقم المتصل به، يسأل الرجل أليس هو الأستاذ أشرف جلال، يجيبه الرجل ألاّ يتصل مرة أخرى ومن الأفضل عدم الحديث في التليفون، قال عماد وقتها إنه يريد مقابلته فهو يحتاج لإجابات.

أغلق الرجل الخط بعد أن قال إنه سينتظره في الشركة في السابعة والنصف وستكون آخر مقابلة في الشركة، وصرخ فيه هل فهمت؟

بالفعل كان عماد يحتاج لإجابات كثيرة، أولها أن يعرف من هو أشرف جلال، ولماذا يوجد كارت له في تلك البذلة التي يرتديها في هذه اللحظة، وبالبحث في الهاتف وجد أن هناك عدة اتصالات من الهاتف لرقم أشرف جلال من قبل.

يقترب من العنوان الموجود بالكارت، الدور الثالث، المكتب الرئيسي، لا يتذكر أنه أتى هنا من قبل، بداخله كان يريد أن يعرف لماذا كلمه أشرف جلال بهذه الحدة والتوتر.

كان يصعد السلالم عندما ارتفع رنين الهاتف الجوال، نظر للرقم المتصل وهو يرد قائلا:

- من معي؟

جاءه الصوت الأجش الذي كلمه صباحًا:

- سعد خميس، لِمَ كلمّا اتصلت اليوم بك تسألني من المتصل؟ أستاذ عماد أهناك شيء؟ أخبرني وأنا سوف أتصرف؟

وجد نفسه يكذب دون سبب وهو يرد:

- الهاتف به عطل ولا يعطيني الرقم المتصل.

جاءه صوت السعد خميس وهو يقول بهدوء:

- متى سنتقابل؟

لم يرد عماد أن يكشف لسعد خميس أنه لا يتذكره، حاسة بداخله قالت له أن يساير الرجل للنهاية

- وقتما تريد.

- إذن العاشرة مناسبة، في المقهى الذي تعرفه.

قاطعه عماد قبل أن يغلق المكالمة وهو يقول:

- آسف، ذاكرتي اليوم ليست على ما يرام، أرجو أن تمليني العنوان.

قال سعد خميس بصوت يحمل دهشة كبيرة:

- لا بأس عليك، سأرسل لك العنوان في رسالة على الهاتف، سلام

أنهى سعد خميس الاتصال، فوضع عماد الهاتف في جيبه

وراح يصعد الدرج إلى مكتب جلال.

كان مكتب الشركة يحتل دورًا كاملًا، وهناك كثير من الحركة بالداخل، سأل عماد الفراش عن مكتب الأستاذ أشرف جلال، فأشار له على مكتب في نهاية طرقة، لاحظ عماد وهو يقترب من الباب أنه يؤدي إلى غرفة واسعة بها سكرتيرة رشيقة، تجلس أمام شاشة كمبيوتر وهناك فاصل زجاجي يظهرها جالسة من الخارج، طرق الباب بهدوء ودخل، وقف أمامها وهو يقول إن لديه ميعاد مع الأستاذ أشرف جلال في السابعة والنصف، أشارت إلى أحد المقاعد الشاغرة بعد أن سجلت بياناته في ورقة لديها، كان هناك أكثر من شخص في انتظار مقابلة، فجلس صامتًا، يتأمل الوجوه حوله.

بعد خمس دقائق خرج شخص من مكتب أشرف جلال، ابتسم في وجه السكرتيرة وخرج، دق جرس بجوارها، فدخلت إلى غرفة أشرف جلال، لم تمرّ سوى لحظات قليلة ثم خرجت وقالت للجمع الموجود إن اجتماعهم اليوم مع الأستاذ أشرف أؤجل للغد، سمع عماد همهمات قصيرة من الحاضرين قبل أن يقفوا تباعا لمغادرة الغرفة، لم يعرف هل ينتظر أم يغادر مع الآخرين عندما عادت السكرتيرة لمكانها في بطء وراحت تكتب على لوحة المفاتيح وهي تنظر لشاشة الكمبيوتر أمامها، ظل عماد مكانه وهو يحدق في يديها

السريعتين وأصابعها التي تضغط أزرار الكمبيوتر في سرعة عالية، ثم رفعت عينيها إليه بعد برهة ويداها تواصل عملها وهي تقول ببساطة متناهية:

- تفضل بالدخول، إنه ينتظرك بالداخل.

قام عماد وراح يسوي ملابسه دون سبب حقيقي سوى أن يعطي لنفسه فرصة لالتقاط أنفاسه وتجميع أفكاره، قبل أن يدفع الباب برفق بعد أن دق دقتين سريعتين وأتى صوت من الداخل يدعوه للدخول.

كان أشرف جلال يجلس وراء مكتب ضخم، وأمامه عدة أوراق يقلب فيها. لم يرفع عينيه تجاه عماد في البداية، ولكن بعد هنيهة تنحنح ووضع ظهر يده أمام شفتيه وهو يقول بصوت يحكمه الانفعال المكتوم:

- اجلس.

جلس عماد على كرسي المقابل للمكتب حيث أشار إليه جلال بالجلوس، كان جلال في أواخر الخمسينيات، شعره أبيض، ملامح وجهه حادة، أنفه عريض وشفتاه غليظتان، ويملك عينين حادتين نافذتين رفعهما لوجه عماد وحدق فيه قبل أن يقول:

- طلباتك؟

في تلك اللحظة شعر عماد بالخواء، طلباته!

حقًا إنه لا يريد أي طلبات من جلال فهو لا يعرفه من قبل، ولكن نظرات الرجل إليه تقول إن هناك سابق معرفة مؤكدة، تحشرجت الكلمات بين شفتي عماد وخرجت مبتورة وغير واضحة.

فتطلع له أشرف جلال بحدة وهو يقول:

- ما الأمر؟ لم أظن أنك ستعود مرة أخرى، اتفاقنا كان واضحًا، فلِمَ عدت؟

جاء صوت عماد خافتا وهو يجاهد كي لا يظهر دهشته البادية على ملامحه بشدة:

- أريد الفهم.

قال جلال وهو يتأمل ملامح وتعبيرات وجه عماد والحيرة المرسومة عليها:

- فهم ماذا؟ لقد انتهى الأمر، أخذت أنت كما طلبت مليون جنيه وأخذت أنا ما يخصني منك، الأمر منتهٍ، الفهم في هذه الحالة جريمة، جريمة للطرفين، أظن هذا واضحًا، ظننتك ستأتي لتساومني مرة أخرى لتأخذ مبلغًا آخر، ولكنك غريب هذه المرة، ما الحكاية بالضبط؟

قال عماد والدهشة تتعاظم على وجهه وبدا مشتت الذهن:

- أنا أخذت منك مليون جنيه، كيف هذا؟ وعن ماذا كنت أساومك لتدفع لي مليونا من الجنيهات.

وضع أشرف الأوراق جانبًا، وغادر مكانه في بطء وانتهى به الأمر وهو يجلس في الكرسي المقابل لمقعد عماد وأخذ يتأمل وجهه لدقائق، قبل أن يكسر الصمت حولهما وهو يقول:

- هل تدعي النسيان؟ هل هناك شخص ينسى أنه أخذ مليونا جنيها ليست من حقه نظير مساومة رخيصة؟ هي لعبة أخرى جديدة إذن منك، الأفضل حتى لا يتطور الموضوع أن تغادر ولا تعود مرة أخرى، إنني لهذه اللحظة استخدم الطريقة السهلة البسيطة وهي النقود، المرة المقبلة قد تكون هناك طريقة لا ترضيك وأخبرتك عنها سابقا، هيا، مقابلتنا انتهت.

وقف أشرف فأمسكه عماد من يده بحدة ثم تأسف وهو يسحب يده قائلًا:

- اعذرني، إنني بالفعل لا أتذكر أي شيء عما تقوله لي، اليوم اكتشفت أن هناك شهرين من حياتي لا أتذكر عنهما أي شيء، أي شيء، ذاكرتي قد شُوِّشت كثيرًا.

قطّب أشرف جبينه قليلا وهو يقول:

- إذا كان هذا حقيقيا، فهو أفضل لي ولك، تفضل لا أريد أن أرى وجهك هنا مرة أخرى، صدقني المرة القادمة التي أرى فيها وجهك، إذ اضطررتني سيكون وجهك خاليًا من الحياة.

كان التهديد صريحا ومباشرة، ولم يكن لدى عماد ما يقوله تحت نظرات أشرف النافذة لأعماقه وكأنه يسلبه الإرادة بعينيه الحادتين، خيّم الصمت على الغرفة، فوقف عماد وغادر وهو لا يفهم شيئًا تقريبًا.

ألغاز والغاز.

أحجية تضاف لتزيد بلبلة عقله.

ولكن عندما غادر العمارة راح عقله يفكر بشدة كيف ولماذا، وإذ كان حقًا قد أخذ من أشرف جلال هذا مليون جنيه فأين هم؟ تبا!

ولم يلحظ عماد تلك العيون التي كانت تتابعه بمنتهى الحذر واليقظة.

* * * * *

الزمن غير معلوم

ولكنه قديم جدًا..

الليل ستار، مشاعل كثيرة تضوي، قفص به فتاة محبوسة ومكبلة، تصرخ صرخات تشق الصمت المحيط بالمكان، أقدام فجأة تدب الأرض في حركة منتظمة، القفص الذي به الفتاة محمل فوق عربة خشبية يجرها ثوران.

ضوء المشاعل ينير الطريق قليلاً، رمال في كل مكان، أخيرًا على البعد هناك مبنى حجري ضخم.

تشعر أن الكثبان الرملية المحيطة بهم تتحرك بوهن وضعف وكأنها ستهاجم العابرين.

الصمت الذي تكاد تشعر بثقله لا يقطعه سوى دبيب الأقدام من وقت لآخر للتوقف، عندما يشير ذاك الشخص في المقدمة والذي لم نكن نراه في البداية للجميع بالتوقف.

يتشمم الجو حوله، ينظر خلفه، كان طويل القامة بصورة واضحة، جذعه عارٍ، ويرتدى في قدمه صندل غريب الشكل وقد لفت سيور الصندل على ربلة ساق قوية، عيناه توقفتا على الفتاة الصارخة، وبلهجة غير مفهومة لنا الآن، صرخ فيها أن تتوقف عن الصراخ والبكاء، وقال شيئًا عن أنها في خدمة

الإله راعي السماء.

انهارت الفتاة داخل القفص الحديدي وخبطت عليه بيدها عدة مرات، حتى ضرب ذاك الشخص الضخم جوانب القفص بقضيب ذهبي في يده، ثم أطلق من فمه صيحة عجيبة قوية تردد صداها في ذلك الليل المدلهم لمدة بدت طويلة.

وعاد الركب يتحرك مرة أخرى، بينما انهارت الفتاة تبكي في قفصها وهي تتألم في حزن عميق.

لقد أخذوها من بين يدي أبيها وقد وافق الأب برغم حبه لها، فما كان له أن يرفض أوامر العابرين.

فهم يعبرون بلدتهم كل عام في نفس الوقت ويختار كبيرهم هذا فتاة من فتيات البلدة لتكون قربانًا للإله الذي يعبدونه، والذي نرى معبده الآن على بعد دقائق من مكانهم.

يطلب كبيرهم أن يسرعوا الخطوات، وأخذ يحثهم على السير وهو يتقدمهم رافعًا ذاك القضيب الذهبي الذي ينتهي بشكل صقر محلق ذهبي هو الآخر.

العابرون يختارون أجمل فتيات البلدة، فالقربان يجب أن يكون بريئًا وعذريًا حتى يرضى الإله صاحب السماء الذي يقدمون له القرابين.

لم تكن الفتاة تعلم حقًا كيف ستكون نهايتها، ولكنها سمعت

من قبل عن فتيات بلدتها اللائي ذهبن مع العابرين ولم يعدن مرة ثانية.

أخيرًا كانت الخطوات ترن داخل ذاك المعبد الحجري، وأخذت المشاعل تضيء المعبد الذي كان يسبح في الظلام منذ قليل.

اقترب شخصان من القفص الحديدي وفتح أحدهم بابه قبل أن يسحب الفتاة خارجه عنوة، ولثوان تمسكت الفتاة بقضبان القفص ولكن قوتها الجسدية لم تساعدها كثيرًا..

وجدت نفسها بعد ثوان بين أيدي الشخصين يجرونها للأمام وهي تجر قدميها جرًا على الحصباء التي تفرش المعبد.

لا تعرف الفتاة من أين ظهرت تلك المرأة بملابسها الذهبية وعقودها التي تضوي على جيدها وهي تمسك بعصا طويلة ذهبية اللون، صرخت الفتاة عندما نظرت في عيني تلك المرأة، فلم يكن هناك عينان في وجه المرأة بل كانت هناك فجوتان سوداوان غامقتان.

ارتفعت صرخة الفتاة مرة أخرى فأسكتها أحد الحراس بيده كاتما فمها.

راحت المرآة العمياء تتحسس جسد الفتاة بتأن، ثم هتفت بشيء ما بلغة غير مفهومة للفتاة وهي تشير لمذبح ما خلفها.

بالفعل بعد دقائق كانت الفتاة ممدة على ذاك المذبح الحجري،

وفوق رأسها كانت هناك عدسات غريبة الشكل تعكس أضواء المشاعل بصورة مدهشة، وبجانبها كان هناك ممران صغيران محفوران في حجر المذبح.

كان من الجلي أن تلك المرأة التي تقف فوق رأسها الآن هي الساحرة، ساحرة هذا المعبد.

ابتسم كبيرهم ودق عدة دقات على أرضية المعبد بالقضيب المعدني، فتردد صدى الرنين في المكان.

وارتفعت صرخات قوية لا نرى الآن مصدرها وسط كل هذا، ولكن لو دققنا السمع ربما تأكدنا أن تلك الصرخات تأتي من أسفل المعبد.

قربت المرأة العمياء خنجرًا صغيرًا ذهبيًا يلمع من جسد الفتاة، وراحت تلقي تعويذة غريبة وهي تتحسس جسد الفتاة بالخنجر وكل فترة تغرس الخنجر في منطقة من جسد الفتاة الممددة الآن بلا حول ولا قوة لتنفجر الدماء وسط صرخات الألم الرهيبة من الفتاة.

وراحت الدماء تسيل برفق بجوار الفتاة لتأخذ مجراها في القناتين المحفورتين بجانبها.

الغريب أن الفتاة وسط كل هذا ظلت واعية وعينيها تحدق في العدسات فوقها وللصور العجيبة التي تنعكس عليها، كان

الأمر يسير بصورة طبيعية بالنسبة لكبيرهم، وأخذت الابتسامة ترتسم على شفتيه راضيا، في تلك اللحظة كانت المرأة العمياء تتحسس رقبة الفتاة وتقرب الخنجر من الرقبة بهدوء وثقة، صرخة أتت رهيبة وقوية اهتز لصداها المكان.

لم تصدر الصرخة هذه المرة من الفتاة، بل كان هناك رمحًا قد انغرس لنصفه تقريبًا في جسد المرأة العمياء، ومن وسط العدم والرمال ظهر هؤلاء الأشخاص، الذين راحوا يهاجمون بضراوة هؤلاء الذين يسمون أنفسهم العابرين.

لأول مرة يهاجم العامة معبد الإله، هذا ما لم يتصوره كبيرهم الذي كان يصرخ في حراسه أن يوقفوا المهاجمين، ولكن الرمال راحت تنشق عن الكثير من الشباب، وبدا واضحًا أن المعركة لم تكن في صالح العابرين.

وقتئذ ضرب كبير العابرين بابًا خفيًا أسفله، فخرج من تلك الأبواب مجموعة ضخمة ملامحهم مشوهة، ولا مكان للأعين في وجوههم، وانطلقت الصرخات من كل مكان فهؤلاء العميان ظهرت قوتهم غير طبيعية وهم يهاجمون الجميع لا يفرقون بين أحد وكأنهم اكتسبوا تلك القوة الرهيبة من الشيطان نفسه.

كانت الجراح في جسد الفتاة لا تزال تنزف في طريقها إلى ذلك الوعاء الضخم الذي لا تعرف مما صنع.

العميان يغرسون أسنانهم في الجميع وينهشون لحم أي شخص وهم يتشممون المكان حولهم.

كان في تلك اللحظة هناك شاب قوي يصد أحدهم وهو يتجه ناحية الفتاة، بالطبع من البداية كان علينا أن نتوقع أن هناك قصة حب، وإن هذا الشاب الذي قرر أن يضحي بنفسه هو حبيب تلك الفتاة المقيدة، القصة معروفة ومعتادة.

راح يحرر الفتاة عندما كان هناك سيف يشق السماء ليهبط على رأسه، فيصطدم السيف بتلك العدسات التي فوق الرأس فتتناثر في المكان، فينتبه الشاب فيعالج من يهاجمه بخنجر ويفصل رقبته عن جسده، يضرب الشاب وهو يحمل الفتاة ذاك الوعاء الذين يمتلئ بالدماء، فتنسال منه دماء كثيرة رهيبة في كل مكان ولا تعرف من أين تأتي وكأن الأرض نفسها راحت تنفث الدماء، وسط صراخ كبير العابرين والذي يطلب من حراسه الباقين أن يهاجموا الكل، وراح هو يجمع تلك العدسات التي غطتها الدماء وهو يهتف بلغة عجيبة، سمعها الشاب وفسرها سريعًا فهو يعرف لغة العابرين، دم الإله.

وأخذ الشاب ينظر للدماء حوله والصرخات تتعالى بعنف رهيب، لم يكن يعرف وقتها إنه بكسره للوعاء وتناثر العدسات أعطى الأمر لمئات الحراب لتغرز في أجساد المساجين في

زنازينهم أسفل المعبد لترتفع دماؤهم أكثر فأكثر في أنابيب خاصة لتغسل أرضية المعبد وتتلون الحصباء باللون الأحمر وهبطت بغتة عاصفة ترابية رهيبة راحت الرؤية تضيع بين الرجال المتناحرين ولم يعد يرى أحد أحدًا وسط صراخ هؤلاء العميان الذي راح يرتفع ويتصاعد بقوة عجيبة غير مفهومة، وهم ينهشون من تطاله أيديهم.

كانت الصرخات ترتفع من المعبد وتتردد صداها، بينما يفر كبير العابرين وهو يحمل صندوقًا كبيرًا ذهبي اللون وضع بداخله تلك العدسات الغريبة، وألقى نظرة أخيرة على المعبد وهو يجري عبر الصحراء وقد غلف الظلام الحالك كل شيء حوله.

ما دخل كل هذا بعماد وعصرنا هذا؟

* * * * *

باريس منذ عدة أسابيع

مطار شارل ديغول

الطيار المصرى حازم الجابري قد هبط بطائرته منذ فترة ليست بقليلة، لكنه في هذه اللحظة كان يحتسي قهوته الثالثة في كافيتريا المطار منتظرًا شخصًا ما، بعد أن طلب من أحد أفراد طاقم الرحلة أن يأخذ حقائبه معه للفندق وهو سيلحق بهم فيما بعد.

مرّ الوقت بطيئًا على حازم وهو ينظر لساعته كل دقيقة مرتين على الأقل. حازم في الخامسة والأربعين تقريبًا، عبد الوهاب تأخر أكثر مما ينبغي هذا ما كان يردده بينه وبين نفسه.

بدا القلق يعصف بأفكار حازم، ما الذي جعل عبد الوهاب يتأخر عليه كل هذا الوقت هل يتصل بسوزان فهو حاول الاتصال بعبد الوهاب وهاتفه مغلق.

أخيرًا عندما كان النادل يضع فنجان القهوة الرابع، كان عبد الوهاب يشير لحازم من بعيد وهو يقترب بجسده الممتلئ منه ويجر قدميه جرًا على أرضية المطار.

المنظر بين الصديقين يبدو مضحكًا، خصوصا أن حازم

بجسده الفارع وقوامه المنضبط وملامح وجهه التي ما زالت تحمل وسامة زائدة، بجوار عبد الوهاب بجسده القصير وكرشه الضخم أمامه.

وفي النهاية كانا يحتضنان بعضًا، وعبد الوهاب يعتذر عن تأخره فقد كان ينهي بعض الأمور التي طلبها حازم بنفسه، ويعتذر بأن هاتفه منذ الصباح وهو لا يعمل بصورة جيدة.

قال عبد الوهاب وهو يفتح باب سيارته لحازم ليركب بجواره:

- لقد اتعبني الرجل كثيرًا، أسبوعان تقريبًا وأنا أزوره كل يوم حتى وافق في النهاية، المبلغ الذي عرضته عليه جعله يوافق.

أومأ حازم برأسه وهو يركب ويضع حزام الأمان، قبل أن تنطلق السيارة في شوارع باريس، قال عبد الوهاب وهو يراقب عيني حازم المتطلعتين للشوارع:

- لكن ما هذا الرعب الذي أصاب الرجل عندما حدثته في الأمر، إنه استغرب بشدة أنني أعرف أشياء عن أبيه لا يعرفها غيره تقريبا، وعندما أخبرته عنك وعن مصر، كان ذاهلاً ووافق في النهاية على مقابلتك.

قال حازم:

- أتمنى أن ينتهي الأمر كما نريد وببساطة.

ابتسم عبد الوهاب وهو يقول:

- اطمئن لقد رتبت كل شيء، الاستوديو الخاص به يقع في شارع رو بابيلون، سنصل إليه قريبا، الرجل قال إنه سيعطيك أنت فقط المطلوب وليس لشخص آخر، ولديه بضعة أسئلة حقيقة لم أجد إجابة لها لدي، اسمه بيير كما قلت لك من قبل، هناك إشاعة سمعتها إنه ليس ابنًا شرعيًا لإبيه إيفان سالمون ولكنه ابن عشيقته، لا أعرف إذا كان ذاك يهمك أم لا، ولكني جمعت كل ما قلت أن علي أن أجمعه حول أسرة الرجل.

قال حازم وهو ينظر في ساعته:

- سنصل قريبا أليس كذلك؟

أجاب عبد الوهاب وهو يتطلع للطريق:

- دقائق وسنصل، أرجو عندما ينتهي الأمر أن تقضي معي ومع سوزان باقي عطلتك.

- بالتأكيد يا صديقي، إنها أوحشتني بالفعل.

كانت سوزان هي أخت حازم التي تعيش منذ عشرين سنة تقريبًا في باريس بعد زواجها من عبد الوهاب، لسنوات عديدة كان حازم يناقش بداخله كيف أحبت أخته عبد الوهاب، فعبد الوهاب لم يكن في مستواهم الاجتماعي، ولم يكن كذلك يصلح كفارس أحلام لفتاة في ريعان شبابها، بل يصلح أن

يكون بواب أحلامها، هذا الخاطر جاء بذهن حازم لثوان؛ فارتفعت ضحكته رغما عنه وهو يتطلع لوجه عبد الوهاب الضخم، الذي أخذ ينظر لحازم في دهشة، فربت حازم على يده الممسكة بالمقود وهو يقول:

- شكرًا لك يا عبد الوهاب، دوما تكون عند حسن ظني.

اتسعت ابتسامة عبد الوهاب أكثر فأكثر ثم تحولت لضحكة كبيرة وهو يقول:

- دقائق وسنصل للعنوان.

بالفعل لم تمرّ دقائق حتى كانت عربة عبد الوهاب تقف أمام عمارة من خمسة طوابق، هبط عبد الوهاب من العربة وتبعه حازم بهدوء، ضغط على زر جهاز الاتصال الداخلي للشقة، فجاء صوت بيير يسأل هل هو السعد عبد الوهاب، فأجابه بنعم، وسمع تكة مزلاج الباب وهو يفتح، افسح عبد الوهاب الطريق لحازم ليمر وهو يقول:

- الدور الثالث، الاستوديو

فتح لهما بيير الباب مرحبًا، الشقة من الداخل كانت فقيرة إلى حد بعيد، قطع الأثاث قليلة ومبعثرة بدون انتظام أو ترتيب، من الواضح أن بيير يعيش وحيدًا وأن حالته المادية ليست على ما يرام.

قال بيير وهو يضع أمامهما كوبين من الشراب إنه كان له صديق مصري منذ زمن، ولكنه مات منتحرًا في باريس، قال إنه كان شاعرًا، ولكن بيير لم يقرأ له أي شعر، وضحك وهو يقول إنه حقًا لا يقرأ العربية، لم يزر مصر إلاّ مرة واحد مع أبيه وهي غير كافية ليتعلم العربية بالطبع، سرح بيير قليلا وهو يقول: أبي كان يتقن العربية هذا مؤكد، سمعته مرات يحدث شخصًا عربيًا في الشارع، أنني أتذكر.

كان بيير في الخامسة والستين على الأقل، رأسه صلعاء تمامًا، وجسده نحيف، ويملك أذنين طويلتين بدرجة ملحوظة.

أخرج حازم من جيبه رزمة من الدولارات وضعها على المائدة وهو يقول:

- هذا أكثر مما اتفقنا عليه.

تأمل بيير النقود ومد يده تحسسه وتركها في مكانها وهو يقول:

- لم أظن أن الأمر حقيقي بهذه الصورة.

قال حازم بهدوء:

- وماذا كنت تظن؟

قال بيير وهو يتأمل ملامح وجه حازم وعيني عبد الوهاب المحدقتين به:

- الحقيقة، طلبكما ليس عندي، أنا أعرف مكانه ولكن الأمر صعب.

قاطعه عبد الوهاب بحدة:

- بيير لقد وعدتني بأن تجلب الأفلام المطلوبة، فما الذي تقوله الآن؟

رفع بيير كوبًا من الشراب وتجرعه دفعة واحدة وهو يقول:

- إنني كنت أظن الأمر مزحة في الغالب، كان لي صديق مصري يحب المزاح، مات منتحرًا هنا في باريس.

وقف عبد الوهاب ونظر لوجه بيير وقال في غضب:

- لا نريد أن نعلم شيئًا عن صديقك المصري، نريد أفلام الكاميرا التي قلنا لك عليها.

قال بيير في تردد:

- هذه الأفلام كان أبي يصنعها بنفسه، لقد تعلم الصنعة عن أبيه ولكنه رفض تعليمي كيفية صنعها، وأظن أنه منذ أربعين سنة توقف عن صنعها، قبل أن يموت منتحرًا، أبي أيضا مات منتحرًا كصديقي المصري، كان يشاهد الكوابيس كل ليلة،

سمعته كثيرًا يصحو فزعًا وهو يصرخ، كنت أدخل غرفته فأشعر بشيء غريب وبرودة قوية ورائحة عطرية غريبة، أبي كان يجلب البرودة بكوابيسه المزعجة.

ضغط عبد الوهاب على ساعد بيير وهو يقول:

- أأنت سكران؟ أفق وقل لنا أين هذه الأفلام الآن؟

- اترك يدي يا سعدي، أعرف مكانها، بالتأكيد أعرف مكانها، سأخبركما.

قال حازم وهو يفسح يد عبد الوهاب بعيدًا عن بيير:

- نرجو أن تقول لنا أين نجد هذه الأفلام والآن.

ظهر التردد جليًا على وجه بيير وهو يقول في غموض:

- في مقابر بير لاشيز، أصر أبي على دفنها في مقبرة القديس رينيه جوست قال إنها المكان الوحيد الذي جاء في عقله ليتخلص من الشياطين، لا أعرف حينها أي شياطين يتحدث عنها أبي ولكنه مات منتحرًا.

ظهرت الحيرة على ملامح عبد الوهاب وهو ينظر لحازم ويقلب نظره بينهما، قال حازم بعد فترة ران عليها الصمت:

- وكيف سنصل إليها الآن؟

ابتسم بيير وقال:

- لدي خطة، فأنا أعرف المكان جيدًا، فمنذ سنوات أقضي كثيرًا من الوقت هناك، كلما تقترب من النهاية تحب المقابر، ولكن هناك شيئًا آخر، أبي لم يدفن كل الأفلام هناك، بل بعضها فقط.

قال حازم وهو يزم شفتيه:

- بعضها فقط، والباقي أين؟

قال بيير وهو شارد الذهن:

- هناك دفنها وكنت معه، هناك في «الكاتاكومب» سراديب الموتى أسفل باريس، بالقرب من شارع ريمي ديمونسال في المنطقة الممنوعة، أبي كان يقول لي ونحن نخفي الأفلام، أن تلك مقابر القديسين.

صرخ حازم في وجه بيير وعيناه تتألقان بغيظ:

- اللعنة، هل تعلم كم طول هذه السراديب وما تحويه من عظام، إنها عظام فوق الستة ملايين جثة.

رشف بيير رشفة أخرى من الشراب وهو يقول:

- معي خريطة بالمكان، رسمها أبي وأعلم تحديدًا أين هي الأفلام، كأنه كان يعلم أن هناك من سيأتي ليسأل عنها، إنها مقابر القديسين، مقابر القديسين.

تلاقت نظرات عبد الوهاب وحازم قبل أن يقول الأول:

- ما رأيك؟ هل يستحق الأمر المخاطرة؟

هزّ حازم رأسه وهو يقول:

- ليس أمامي سبيل آخر، علينا بزيارة هذه المقابر، والوصول للأفلام بأية طريقة.

وتألقت عينا بيير في جشع وهو يتحسس المبلغ الموضوع على المائدة أمامه وهو يقول:

- إذن، أظن أن من حقي أن نضاعف المبلغ فالأمر خطير.

شرد حازم لثوان قبل أن يربت على يد بيير الممسكة بالنقود:

- المال ليس مهما الآن، المهم أن نصل وقبل فوات الأوان، علينا أن نتحرك الآن، وفورًا، هيا.

* * * * *

في بر مصر

عام ١١٩٠ ميلادية

غابت الشمس وانتشرت العتمة بغتة، الشوارع غير مطروقة في تلك اللحظة، الحوانيت أقفلت أبوابها، وبعض المتسكعين يفرون إلى بيوتهم في تلك اللحظات، تلك المنطقة بالذات والتي تقع بعيدًا عن قلب الأسواق كانت تخيف البعض، يقولون إن الشياطين تتجول فيها ليلا، هناك بيت من دور واحد بابه حديدي ضخم، ومن خلفه تظهر حديقة صغيرة، حيطانه مطلية بلون مختلف عن باقي الدور البعيدة أو القريبة منه.

في الداخل هناك وفي غرفة ضيقة، كان يقف بطوله الشامخ وأمامه عدة أدوات معملية، وبعض المركبات يقوم بغليها على نار هادئة، وكانت هناك كوة صغيرة في الحائط معلق عليها مشعل صغير، وهناك العديد من الشموع تخلف ضوءا أصفر، كان هناك مائدة صغيرة عليها صندوق به عدة عدسات دائرية عجيبة الشكل، وأمام هذا الواقف الملقب بالعطار البيدقي كانت هناك أوراق بيضاء كثيرة، راح يغمسها في سائل بجانبه، الغرفة ساكنة، وباقي الدار يبدو ساكنًا بالمثل، الساعات تمضي والبيدقي عاكفًا على شيء ما، وراح يسجل معادلات عجيبة

الشكل على أوراق بجانبه.

كان هناك إبريق ضخم ممتلئ بسائل ما، المدهش ليس السائل، ولكن عند تحديق النظر في هذا الإبريق جيدا سنفاجئ بعشرات العيون تحدق بنا فعليا، عيون ليست لحيوانات بل عيون بشرية، اقتلعت بطريقة ما من وجوه أصحابها.

كان البيدقي في تلك اللحظة يستخرج إحدى الأعين من الإبريق ويبدأ في تشريحها بمنتهى الحرص بأداة صغيرة تشبه المبضع يحركها بين أصابعه باحترافية.

لا يشعر البيدقي بالوقت وهو عاكف على عمله غير المعروف لنا طبيعته للآن.

بجوار البيت كان هناك شبحان متشحان بالسواد يتسللان، عندما ارتفع نباح كلب ليس ببعيد.

قال أحدهم وهو يترقب المكان بعينين حذرتين متوجستين:

- يا سهيل، أرى أن نتراجع.

ضغط سهيل بيده على كتف مرافقه:

- كلاّ، إنها فرصتنا لنتخلص منه يا جابر.

ارتعش جسد جابر تحت يد صديقه:

- لكنه البيدقي، إنه صاحب الشيطان، تريدنا أن ندخل بيت الشيطان بأنفسنا.

ابتسم سهيل وهو يقول:

- سندخل ونقتله ونخرج قبل أن ينتبه أحد لنا.

قال جابر بهمس:

- لو أدركنا مريدينه سيقطعوننا إربا.

قال سهيل وهو يتحرك ببطء ناظرًا خلفه وأمامه في ترقب:

- اليوم يغادره المريدون ويظل وحيدا وسط أعماله الشيطانية، لن نتركه أكثر من هذا، فسحره المجنون بدأ يتردد حولنا.

كان جابر في تلك اللحظة يتعلق بأمل أن يرجع سهيل عن أفكاره، وبداخله نداء يتردد كل ثانية محذرة لماذا طاوع سهيل فقال:

- يقولون إن أباه كان تلميذًا للشيخ الجليل ابن الهيثم.

- إنه يحبس الأرواح في أوراقه، فقد شاهدت هذا بعيني هاتين.

- لوقت ما كنت أظنك من مريديه قبل أن تنقلب عليه.

- وأنا كنت أظن نفسي كذلك حتى رأيت ما رأيت، هيا.

قالها سهيل وهو يقفز ليعتلي سور البيت ويمد يده لجابر، وبعد هنيهة كان الاثنان يقفزان لداخل البيت وسط ذلك الظلام المقبض والصمت يحيطهما لا يقطعه إلا نباح كلاب من حين لآخر.

راحا يتحركان بخفة إلى تلك الغرفة التي بداخله البيدقي.

استلا خنجريهما، كان هناك أحد الأشخاص واقفا بجوار الباب، تسلل سهيل من خلفه بخفة وقبض على رأسه وكتم فمه بيده الحرة قبل أن يضع الخنجر على عنقه ويجز رأسه.

صوت بلبلة صغيرة سمعها البيدقي أثناء ذبح سهيل للحارس.

بدا يجمع تلك العدسات العجيبة الشكل ويضعها في صندوق ذهبي اللون وأخفاه في كوة في الحائط قبل أن يدلف سهيل وجابر إلى الغرفة وهو يتمتم لنفسه وكأنه يعرف أنها نهايته:

- إذن الأمر حق، وجاء وقتي.

كانت هناك عدسة واحدة في كوة الحائط خارج العلبة الذهبية وخلفها كان هناك شيء لا يظهر للعيان، قام البيدقي بإغلاق الباب من الداخل، مع صوت العراك بالخارج بين أحد الحراس الأخرين الذي لمح سهيل وجابر، انتهى العراك بذبح حارس آخر، قبل أن يدفع سهيل الباب ويركله بقدمه عدة

مرات حتى كسر، فدخل هو ورفيقه للغرفة المظلمة، كان البيدقي قد أطفأ المشعل والشموع ووقف يختبئ خلف مائدة كبيرة، ولكن سهيل زعق بصوته وهو يسمع أنفاس البيدقي في الغرفة:

- لا مهرب لك اليوم يا بيدقي، لا مهرب.

وأزاح سهيل المائدة فاصطدمت عيناه بالإبريق الممتلئ بالسائل العجيب فدفعه بيده، فانسال السائل على الأرض ومئات الأعين البشرية فرشت الغرفة، تراجع جابر للوراء وهو يرى الأرض مفروش بعيون بشر مقتلعة وهو يصرخ:

- يا ابن الشياطين.

ثم هجم جابر على البيدقي عندما رآه خلف المائدة وسحبه من شعره، قبل أن يضع خنجره في عنقه لتبثق الدماء في كل مكان بعنف، وارتفعت بغتة أصوات صارخة في المكان، صرخات مكتومة من خلف جدار ما، وصوت خربشات عجيبة، كان هناك باب آخر وطيء خلف البيدقي.

مد سهيل يده ليفتح مزلاجه، ويفتحه، وفجأة شعر بتلك الايدي تتعلق به، فانسحب للوراء وهو يدفع سهيل للخارج، ومن هذا الباب راحت أجساد تزحف، أجساد بشرية صارخة، كان ذلك محبس البيدقي.

الغريب أن كل من خرج من هذا الباب زاحفًا كان بلا أعين، فقد اقتلعت عيونهم، وراحت الصرخات تتصاعد من هؤلاء العميان نحيفي الأجساد وهم يدوسون على أعينهم المقتلعة والملقاة على الأرض، صرخات وكأنها تصدر من قاع الجحيم.

قال سهيل وهو يسحب جابر خارج الغرفة:

- اللعنة! شياطين الساحر.

ومد يده إلى المشعل المجاور للباب من الخارج وألقاه وسط الزاحفين وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويغلق الباب في وجوههم العمياء، اشتعلت الغرفة بشدة، وراحت النيران تأكل كل شيء وسط صرخات رهيبة، وارتفعت رائحة الشواء، شواء لحم بشري.

كانت هناك عينان صغيرتان تراقبان كل ما يحدث في خوف وترقب، صبي في العاشرة تقريبًا، اخفى جسده الضئيل فوق أحد الأشجار في الحديقة، وظل كامنًا وهو يرى شبحًا سهيل وجابر يفران وكأن هناك آلاف الشياطين تطاردهم.

جاء نور الفجر، والصبي في مكانه، لم يجرؤ أحد على الاقتراب من البيت فهم يعرفون صاحبه وشياطينه جيدًا.

أخيرا هبط الصبي إلى أرض الحديقة، وسحب جسده بخوف وهو ينظر اتجاه باب غرفة البيدقي، كانت النيران قد اتت

على كل شيء بالداخل، إنه يعرف وصية جده البيدقي، كلمه عنها كثيرا، ويعرف الآن ما عليه فعله.

اقترب من الغرفة، شعر بسخونة الجدران وهو يدخل.

أجساد متفحمة في أوضاع تشريحية عجيبة.

والغرفة الآخرى المخفية احترقت بالكامل بما فيها.

الرائحة مقبضة ومخيفة، كتم الصبي أنفه بيده واقترب من جزء يعرفه في الحائط، خلع جلبابه ولفه هو يده وهو يمدها داخل تلك الفجوة التي يعرف مكانها جيدا ليسحب ذاك الصندوق الذهبي، المدهش أن تلك العدسة التي كانت خارج الصندوق ظلت كما هي في موضعها، فسحبها الصبي وضعها فوق الصندوق وهو يتمتم لنفسه:

- لك ما شاءت يا جدي، لك ما شئت.

كان الفتى يتضوَّر ألمًا، وعيناه متسعتان ينطلق منهما شر مستطير.

أغلق الفتى عينيه قليلا قبل أن يطلق صرخة رهيبة شقت سكون ذاك الليل العجيب.

في مساء ذلك اليوم، كان هناك جسدان مقيدان أسفل قدمي الصبي الصغير، كان سهيل وجابر مقيدان بحبال قوية، وهناك

مئات المريدين يقفون في انتظار كلمة من الصبي، الذي وقف فوق رأسيهما لثوان، قبل أن يسحب خنجرا من يد أحد المريدين ويغرسه بالكامل في رقبة جابر الذي اتسعت عيناه للمرة الأخيرة في ذهول، بينما قام مريد آخر بجز عنق سهيل الذي صرخ قبلها بثوان ذاهلا:

- كيف عرفتمونا؟ كيف!

سُحبتِ الجثتين لخارج الدار بينما اتجه الصبي إلى غرفته، وأخرج من تحت فراشه ذاك الصندوق الذهبي المليء بالعدسات الزجاجية، وفتحه ليضع به عدسة زجاجية غريبة الشكل، قبل أن يسحب من أسفل السرير لوحًا خشبيًا أسود اللون تتخلله صورة تشعر أنها مرسومة لشبحين يهاجمان شخصًا آخر كان يدعى البيدقي، وظهرت الصورة على اللوحة كصورة سلبية تشبه نيجاتيف هذه الأيام، وحضن الصبي الصندوق بيده وهو يقول:

- فعلتها يا جدي، فعلتها، سأحافظ على ميراثك بعمري كله، اطمئن.

(٣)

القاهرة الآن

يشعر عماد منذ أن غادر مكتب أشرف جلال وأن هناك من يراقبه، كل دقيقة تقريبا يلتفت لعله يرى ذاك الشخص، ولكن في كل مرة تصطدم عيناه بالمارة الماشين غير مبالين به.

طرد ذاك الإحساس جانبًا وهو يضغط على المبلغ الموجود في جيبه ليتأكد أنه ما زال في مكانه، وأن ما مرّ به منذ الصباح لم يكن هلاوس مجنونة.

كانت الساعة تقترب من العاشرة لم ينس ميعاده مع المدعو سعد خميس، وبرغم هذا كان ما يزال يدور في شوارع وسط البلد، وكأنه بين لحظة وأخرى سيعود لمكتب أشرف جلال ليفهم منه أو حتى يتهجم عليه؛ ليضربه فيتوسل له أشرف جلال أن يتوقف حتى يحكي له كل شيء.

وبرغم جاذبية الفكرة بجنونها كانت هناك استحالة لتنفيذها وخصوصًا الآن.

فالمكتب مليء بالأمن الذين قد يعلقونه من قدميه على باب الشركة.

أخيرًا قرر أن يركب المترو ليقرب المسافة إلى مكان سعد

خميس، سيهبط في محطة عين شمس ويأخذ من هناك سيارة أجرة إلى أي محطة مترو أخرى، ومن هناك يغير الخط مرة ثانية، كان هناك شعور قوي بداخله أنه في خطر وعليه أن يلتزم الحذر والحيطة، لذا سارع في تنفيذ ما فكر فيه.

وراح يهبط محطة مترو سعد زغلول التي كانت قريبة له في تلك اللحظة.

أخيرا غير وركب خط آخر، صار داخل المترو، راح يراقب العيون المحدقة في الفراغ حوله، لا شيء لافت للنظر، كل شيء مزدحم كالعادة، الحرارة خانقة داخل المترو، والناس بالداخل محشورين في ملابسهم وعرقهم وتزاحم الأجساد.

شيء جعل عماد يقترب من باب المترو وهو يفتح ويلقي بنفسه على رصيفه فجأة.

تأمل الرصيف والنازلين، ثم شرع في الاتجاه ناحية باب الخروج.

كان العنوان الذي معه في بين السرايات، بعد عدة دقائق وقفها خارج المحطة، كان يركب سيارة أجرة ويقول للسائق عن وجهته، السائق يرغي كالمعتاد، عماد لا يرد عليه ويكتفي بهزة رأس من وقت لآخر، وعندما شعر السائق بأن عماد لا يعطي له أذنا صمت مضطرًا وهو يسب بداخله زبائن آخر

زمن.

راح عماد يقطع شوارع بين السرايات وهو يسأل على عنوان المقهى، أخيرا لاح له المقهى واضحًا، لم يكن يعرف شكل سعد خميس، كانت الساعة قد بلغت الحادية عشر تقريبًا، أخرج عماد هاتفه ليتصل بسعد ولكنه وجد يدا فجأة تربت على كتفه وشخص يقول:

- تأخرت عليّ، فذهبت لأجلب سندوتشين كبدة.

- آسف.

نظر عماد لسعد خميس كان في الخامسة والثلاثين تقريبا، ضخم الجسد، كرشه أمامه، عيناه غائرتان متسعتان وفوقهما حاجبان غليظان، وكان يفوق عماد طولا بشكل ملحوظ.

ضحك سعد خميس دون سبب وهو يسحب عماد من يده ليدخله للمقهى.

- أهلا بك، آكل وآتٍ لك بالأمانة، كما طلبتها بالضبط.

أومأ عماد برأسه وهو صامت، فلم تكن لديه فكرة عن أي أمانة يتكلم عنها سعد خميس، وهو في نفس الوقت لا يريد أن يثير ريبة الرجل فيه، راح سعد خميس يلتهم السندوتشات ويجرع ورائهم أكواب من الماء وهو يسب النادل أن يجلب له زجاجة ماء كبيرة، والتفت لعماد وهو يربت على فخذه:

- الكبدة حامية كما تعرف.

عاد عماد لتأمل ملامح سعد الخميس وحاول أن يبعد نظراته عن عينيه وهو يتأمل رواد المقهى.

انتهى سعد خميس من الأكل وجرع زجاجة ماء كاملة وتجشأ في صوت عال، ثم وقف بغتة وهو يقول:

- ثوان وسأجلب لك الأمانة.

اقترب سعد من صبي النصبة وهمس في أذنيه قبل أن يميل الرجل بجسده أسفل النصبة ويخرج حقيبة سوداء صغيرة.

وضع سعد الحقيبة في حجر عماد، وهو يقول:

- من الأفضل ألاّ تفتحها هنا.

كان عماد يريد أن يسأله عما تحوي الحقيبة ولكنه يتراجع وسؤال يؤرقه ولا يغادر لسانه، المقهى يعج بالرواد والصوت يعلو من حين لآخر بسباب أو قشاط يضرب بعنف على إحدى الموائد.

ما زال عماد يشعر أنه مراقب، فقال وهو يهم بالوقوف:

- هل هناك شيء آخر؟

تأمله سعد بعينيه الغائرتين لثوان في دهشة ثم ضحك بعنف:

- كلاّ بالطبع، إلاّ لو كان لديك أوامر جديدة ،، عمومًا حدد أنت الموعد وأنا جاهز، لا تظنني من الجشعين الذين يغالون في طلباتهم بعد التنفيذ، نحن كلمتنا واحدة، أنا مكتف بما وصلني ومستعد للتنفيذ عندما تقول لي.

بلع عماد ريقه وهو يربت على الحقيبة بين يديه ويحاول تحسس ما بداخلها، ووجد نفسه يقول لسعد وهو واقف:

- سأتصل بك.

سمع عماد صوت سعد خميس يسب النادل بعد خروج عماد ويسأله لماذا لم يجلب شيئًا لضيفه يشربه.

بعد عدة شوارع قطعها عماد مشيًا، وقف في جانب مظلم بمحاذاة إحدى العمارات، ثم مد يده ليفتح الحقيبة في توجس، واتسعت عيناه بعدما اصطدمتا بما في داخلها، وأغلقها في وجل وجسده يرتعش، فبداخل الحقيبة كان يقبع مسدس ضخم وأشياء أخرى لم يكن لديه الوقت ليتفحصها في تلك اللحظة.

كان يريد أن يتخلص من الحقيبة، ولكن بما أنه هو من طلب ما بداخلها من سعد خميس فهناك ضرورة ملحة أكيدة لهذا، هذا ما راح يردده بينه وبين نفسه.

وراحت الأسئلة تتزاحم بداخل عقل عماد وسط كل الجنون

الذي يحدث حوله.

لماذا طلب ذاك المسدس من سعد خميس؟ ومتى؟ وأين عرفه؟ وكيف؟

وكيف لا يتذكر كل هذا وما حدث له في الشهرين السابقين؟

وجد أن عليه أن يعود إلى أستوديو جده فهناك لا بدّ أن تقبع الحقيقة التي قد تظهر له أصل كل هذه الأشياء غير المنطقية.

قبض على الحقيبة بيديه الاثنتين وهو يتحرك مغادرًا المنطقة، وفي عقله تدور الأفكار العبثية بلا توقف.

* * * * *

باريس

قرب محطة قطارات اوسترليتز

هبط ثلاث أشخاص من سيارة، حازم وبيير وعبد الوهاب، تطلعوا حولهم لبرهة، ثم بدءوا يتحركون.

قال بيير وهو يتحرك ببطء ويشير إلى مبنى قديم:

- من هنا، يجب أن تعلموا شيئًا عما سنراه، نحن سندخل سراديب الموتى، تلك السراديب عمرها مئات السنين، سندخل من مدخل لم يكن يعرفه أحد سوى أبي وأجدادي وأنا ، إنه ميراث العائلة الذي نتناقله جيلا بعد جيل.

قال حازم وهو ينظر حوله وتصطدم عيناه بأحد المشردين الذين ينامون بجوار المحطة:

- المهم أن نصل وبسرعة.

قال بيير بثقة:

- لا تقلق سعدي، إنني أعرف المنطقة كظهر يدي، بالفعل لم أدخل الأنفاق منذ موت أبي، لكني أعرفها جيدا، ثق بي.

قال عبد الوهاب وهو يتلفت حوله في قلق:

- هل الأمر قانوني؟ أخاف أن تقبض علينا الشرطة؟

نظر له حازم بحدة فبلع ريقه وهو يردف:

- لا نريد مشاكل مع الشرطة هنا، وخصوصا تلك الأيام، لا تنس نحن عرب.

قال بيير وهو يبتسم ابتسامة غامضة:

- كلاّ، الأمر غير قانوني بالطبع، لكن أطمئن سعدي، لا أحد يجرؤ على الهبوط للسراديب ومن تلك المنطقة حتى لو كانوا من الشرطة، الأصح أن أقول إنهم لا يعرفون أن هناك طريقًا من هنا لسراديب الموتى.

قال حازم:

- كيف هذا؟

تطلع بيير لحازم بعينين غامضتين وهو يقول:

- التاريخ، مع بدايات الثورة الفرنسية، انتشرت جثث الموتى في كل مكان، الشوارع ممتلئة والبيوت ممتلئة بالمثل، والمقابر فاضت بالجثث، كان الدفن يتم بطريقة عبثية وعشوائية، الرائحة أصبحت لا تطاق، الأمطار تجعل الجثث تتفسخ وتغادر أماكنها، ومقبرة القديسين الأبرياء وصل ارتفاعها لأكثر من عشرين مترًا من جثث الموتى المتراكبة فوق بعض، العفن في كل مكان، تسربت الرائحة الرهيبة وقتها لمياه الشرب، تلوث كل شيء الهواء والماء، والطرقات،

كان لا بدّ من حل سعدي.

كانوا يقتربون من العمارة القديمة التي أصر بيير أن يمشوا إليها دون أن يخبرهم لماذا، قال عبد الوهاب في وجل:

- أنت تخيفني.

ضحك بيير بشدة وهو يقول:

- الموتى لا يخيفون أحدًا، الأحياء هم المخيفون حقًا، المهم سعدي تهدمت مقبرة القديسين الأبرياء فجأة وقذفت بالجثث إلى الشوارع وانتشرت الأمراض، وقتها جاءت الفكرة للضابط اليكساندر لينور لينقل كل الجثث من مقبرة القديسين إلى الأنفاق تحت باريس، ولكن كانت تحدث سرقات للجثث وكانت ترمى بدون تمييز في الانفاق أقول لك سعدي حقيقة كان الأمر بشعًا كما سمعت، وجاء بعدها بسنوات مهندس لويس دي توري ليقوم بترتيب العظام وتجميعها لتبدو كالجزء المسموح للسياح أن يروه الآن.

قال حازم:

- وما الذي يضمن لي أن نجد ما نبحث عنه هناك.

ابتسم بيير وهو يربت على كتف حازم:

- كلاّ، الذي نبحث عنه في جزء خاص آخر، جزء قام

بالأشراف عليه بنفسه الضابط اليكساندر لينور، جدي، أعنى أحد أجدادي، جزء يخص عظام القديسين الأوفياء وعائلتي على مرّ العصور، ألم أقل لك ميراثنا، فهذا الجزء من السراديب سري.

كانوا قد وصلوا إلى العمارة، فتطلع بيير للشارع الخالي من المارة في تلك اللحظة، قبل أن يقترب من جزء يهبط بعدة درجات للأسفل، واضح أنه بدروم خاص بالعمارة، وأشار بيير بيده أن يتبعاه، فتحركا خلفه هابطين لأسفل، فتح بيير باب خشبي قديم قبل أن يدخل ويضيء النور داخل ذلك البدروم، ثم يتجه إلى دولاب ضخم وهو يقول:

- أرجو أن تساعداني في تحريكه.

شمر عبد الوهاب عن ساعديه، وأخذ هو وحازم يحركان الدولاب مع بيير شيئًا فشيئًا حتى استجاب لهم، وبدا يتزحزح من مكانه، لدقائق واصلوا إبعاد الدولاب عن الحائط، وأخيرًا ظهر أمامهم حائط مصمت.

قال عبد الوهاب في عدم فهم وهو يلتقط أنفاسه:

- إنه حائط فقط.

ضحك بيير وهو يقول:

- لا تنظر للأمام أنظر أسفل قدميك سعدي.

تطلع حازم أسفل قدميهم حيث أشار بيير، كانت هناك فتحة دائرية مغطاة بغطاء حديدي، قريبة شكلا لفتحات المجاري.

مد بيير يديه لمقبض ضخم أسفل أقدامهم وهو يقول:

- ساعداني لنرفعه عن مكانه.

بالطبع بعد هنيهة، كان الغطاء مفتوحًا، وظهر سلم حديدي ممتد للأسفل، وكان عليهم النزول إلى سراديب الموتى أسفل العاصمة باريس.

حيث يقبع الموتى ينتظرون الضيوف.

* * * * *

فتح بيير الدولاب ومد يديه ليسحب تلك خوذات تشبه خوذات عمال المناجم، تأكد أن الكشافات بها تعمل قبل أن يمد يده بخوذتين إلى حازم وعبد الوهاب ويضع الثالثة فوق رأسه، واستخرج ثلاثة كشافات أخرى، مد يده بكشافين لمرافقيه قبل أن يعلق حقيبة صغيرة سوداء على كتفه.

هبط بيير في المقدمة، وبرغم كبر سنه كان يهبط بمنتهى الهدوء، بينما تبعه حازم بعد لحظات، تردد عبد الوهاب كثيرًا وراح يقيس بعينيه محيط دائرة الفتحة، ويعقد مقارنة بينها وبين جسده الممتلئ، وعندما سمع حازم يأمره بالنزول،

تشبث بقبضان السلم الحديدي، وبدأ ينزل وقلبه يرجف في رعب.

شك عبد الوهاب أن السلم سيأخذ جسده وينهار، ولكن من الجلي أن السلم يتحمل ثقله ببساطة.

خمس دقائق تقريبًا في النزول حتى استقرت قدما بيير على أرضية السرداب، ومرّ بعض الوقت ثم كان حازم يهبط بجواره وهو ينظر لأعلي لعبد الوهاب الذي ما زال يرتجف مع كل خطوة يخطوها لأسفل.

وفي النهاية كان الثلاثة يقفون على أرضية السرداب، وقف عبد الوهاب يلتقط أنفاسه وسط هواء السرداب المكتوم بعض الشيء.

وانتشرت رائحة مقبضة حولهم.

رائحة موت قديم ما زال قادرا على إدهاش الآخرين.

رواق واسع يظهر أمامهم، ويسمعون صوت جريان ماء ليس ببعيد ولكنهم لا يرون المجرى.

تحرك بيير وهو يشير بيده للأمام، فتبعاه واتسعت أعينهما رعبا وهما يران الجماجم التي تحيط بهما على الجانبين، وتلك العظام المرسوسة بدقة متناهية فوق بعض، أي فنان مجنون فعل هذا؟

سأل حازم نفسه كيف سيعثرون على الأفلام وسط كل هذه المتاهات حولهم والسراديب الممتدة التي لا يعرف أين تنتهي.

كل جمجمة كان يمرّ بجواره كان سؤال بداخله يتردد أي تاريخ تحمله تلك الجمجمة ومرّ عليها من قبل.

بيير يشير لهما بالتحرك وهو يمضي في طريق يبدو أنه يعرفه جيدًا.

ممرات من السراديب العظمية تحيط بهم، ممرات موت

وهواء محمل برائحة الموت.

جفل عبد الوهاب واتسعت عيناه رعبًا وارتعش بدنه عندما لمست أصابعه بالصدفة إحدى الجماجم المنتشرة وشعر بملمسها الصلب تحت يديه، كيف لم تتفتت للآن؟

بعد نصف ساعة من المشي في السراديب العجيبة كان عبد الوهاب للحظة يحاول استيعاب الأمر بعقله، هل قطعوا كل تلك المسافة حقًّا في أنفاق للموتى تحت باريس، تعبت قدماه وبدأتا ترتجفان، وكان يتنفس بصعوبة، فشد حازم من ذراعه ليتوقف.

توقف حازم ونظر إليه وشعر بأنفاسه اللاهثة، فنادى بصوته على بيير أن يقف ليرتاحوا قليلا، تردد الصوت بقوة داخل

السرداب بطريقة تظن أنها ستجعل الموتى يستيقظون.

جلس بيير على الأرض وأخرج سيجارة من جيبه وأشعلها وهو يستند بظهره على حائط عظمي، تعجب حازم كيف يدخن بيير هنا، وهو بالكاد يستطيع أن يلتقط أنفاسه.

للحظات شعر عبد الوهاب وهو ينظر ناحية بيير أن عينيه تومضان بشدة، هزّ رأسه وهو يطرد خواطر شريرة تعبث في عقله.

كل شيء حولهم كان مخيفًا وكانت الرهبة تشمل بدنه وتعقد لسانه، وبدأت رجفة بسيطة تنتشر في جسده وتتخلل عموده الفقري، كان يخاف أن يستند إلى الجدران كما فعل بيير، فجاء جلوسه في منتصف النفق، وعلى بعد خطوة منه كان يتكئ حازم على جدار من العظام ولم يكن لديه نية للجلوس على الأرض مثل مرافقيه ومرّ دقائق قليلة، قبل أن يمد حازم يده ليسند عبد الوهاب ليقف وهو يقول:

- هيا لا نريد تضييع مزيدًا من الوقت.

أطلق عبد الوهاب زفرة حارة وقلبه ينتفض والرعشة التي كانت سارية في جسده لم تتوقف بعد، ولكنه وقف وسار للأمام حتى اقتربا من مكان بيير الذي وقف وتحرك وهو يقول:

- لا تقلقا لم يتبق سوى دقائق قليلة ونصل.

لماذا شعر حازم أن بيير يخفي شيئًا عنه، هذا الرجل به شيء مريب، كيف يحفظ كل هذه الممرات بكل تلك الدقة، وكيف لا يتعب مثلهما، شيء شرير يحدث في هذا المكان، ذاك ما كان يحدث به عبد الوهاب نفسه وهو يسير خلف حازم في تلك اللحظة، إنه يشعر بأنفاس حارة من وقت للآخر في مؤخرة رأسه، وكأن هناك من ينفخ هواء ساخنًا خلفه.

لم يلتفت للخلف، برغم أنه بدأ يشعر بملمس أشياء تقترب منه، ولكن خرجت من بين شفتيه صرخة عنيفة، تردد صداها بعمق داخل النفق، أدار حازم وجهه إليه بسرعة، كان عبد الوهاب يتصبب عرقًا، وملامح وجهه شاحبة للغاية، تأمله حازم لثوان قبل أن يقول:

- ماذا هناك؟ ما بك؟

ارتعد جسد عبد الوهاب وهو يدور بجسده لينظر للخلف وهو يشعر بحرارة في جسده، لم تقابل عيناه أيّ شيء، فقط عظام الموتى في مكانها والجماجم مرصوصة على الحوائط، ثم بلع ريقه وهو يقول:

- شعرت بأحد خلفي.

ربت حازم على كتفه وهو يقول:

- لا تقلق، إنها أوهام الأماكن المغلقة.

وتأمل مع حوله وهو يستطرد:

لا شيء حولنا سوى العظام.

حاول عبد الوهاب أن ينطق ويقول إن الأمر ليس كذلك، ولكنه لم ينبس بكلمة وعيناه تتطلعان حوله في ترقب قلق، قبل أن يمضي أمام حازم وخلف بيير الذي لم يكن يفهم في تلك اللحظة اللغة التي يتكلمان بها.

كان عبد الوهاب يحس بأنه في مارثون من العدو، فالأحداث اللاهثة تتلاحق منذ جاء بحازم من المطار ولهذه اللحظة لم يكن هناك أي فرصة للالتقاط الأنفاس، ولكنه وهو يتحرك كان يعشم نفسه أن كل شيء سينتهي قريبًا، ولن يوافق حازم على شيء مثل هذا مرة أخرى، فهو يعيش في باريس منذ سنوات ولم يتصور يومًا أنه سيكون في مكان كهذا وليلة كهذه.

مع كل خطوة كانوا يقتربون من شيء مجهول، هذه المقبرة غير عادية، هناك قوة ما تحيط بهم، هذا ما كان يشعر به عبد الوهاب مع كل خطوة يخطوها.

رآها تمر من أمامه بغتة، امرأة بلا رأس، على مرمى بصره وعلى الضوء المنتشر من بطاريتهم، شاهدها، كانت تتحرك

بتؤدة، وكانت ملابسها عبارة عن فستان يبدو ذوقه رائعًا، وكانت قدماها بضتين ممتلئتين.

رفع عينيه لينظر إلى وجهها وسط ذهوله من وجود امرأة هنا والآن، ليجدها بلا رأس.

صرخ عبد الوهاب وتسمرت قدماه بالأرض وهو يحدق أمامه قبل أن تختفي المرأة في سرداب جانبي.

التفت إليه كل من بيير وحازم والأخير يقول بحدة:

- تماسك قليلا، ما الذي تفعله؟

- شبح، شبح بلا رأس.

أشار عبد الوهاب بيده إلى مكان اختفاء المرأة، أطلق حازم زفرة قوية، بينما ضحك بيير بصوت رفيع وقال حازم ببطء:

- لا تجعل الهلاوس تسيطر عليك، لو كان هناك شبح فلم أنت وحدك من شاهده، لا وجود لأشباح.

قال عبد الوهاب بصوت متلعثم:

- إنني متأكد أنني شاهدت شيئًا.

قال بيير مقاطعًا:

- أنا لم أشاهد أي شيء.

انفعل عبد الوهاب واحتقن وجهه وهو يصرخ في وجه بيير:

- اخرس أنت، اللعنة عليك وعلى أجدادك.

قال بيير بهدوء:

- سعدي غير مسموح لك بسب أجدادي إذ أردت العودة، فلنرجع الآن.

قال حازم بصوت مليء بالملل:

- عبد الوهاب تماسك، دقائق وسنخرج من هنا، هيا يا رجل، تمتم عبد الوهاب لنفسه وهو يتحرك خلف حازم في ضجر:

- شيء يقول لي إنني لن أخرج من هنا.

توقف بيير أخيرًا أمام ممر ضيق له باب بالكاد يمرّ منه شخص واحد وقال:

- من هنا.

دلف بيير أولا ثم تبعه حازم، ودخل وراءهما عبد الوهاب وهو يشعر بأن هناك شيء يقبض على أنفاسه وصوت آخر يتحدث داخل رأسه ويحرضه على أشياء مجنونة.

اتعست عينا حازم دهشة فعلى ضوء الكشافات ظهر أمامهم غرفة كاملة عجيبة الشكل.

هناك مائدة في منتصفها، وعدة هياكل عظمية ترتدي زي فرسان، بينما هناك هيكل عظمي يجلس على كرسي أمام المائدة وأمامه على كرسي ضخم كانت هناك جمجمة مغطاة بشعر مزيف وأمام الجمجمة مرآة، وهناك هيكل عظمي آخر يقف وهو يحمل شيئا كصينيه وقد ارتدى ملابس نسائية تظهره كخادمة.

تراجع عبد الوهاب وألصق ظهره بالحائط الذي كان عبارة عن عظام وجماجم، فارتد للأمام مرة أخرى ليصطدم بكتف حازم وهو يقول:

- أي جنون هذا؟

ابتسم بيير وهو يقول:

- مرحبا بكما في حضرة الملكة.

قال حازم متسائلا:

- أي ملكة؟

ابتسم بيير وهو يقول:

- ماري انطوانيت، نحن في حضرة الملكة ماري انطوانيت، فلننحني للملكة.

وانحنى بيير فعلا في شكل استعراضي وهو يقترب من

الهياكل العظمية للحراس، وهو يقول:

- سأشرح لكما، عندما حدثت الثورة الفرنسية وحبست ماري انطوانيت حتى موعد إعدامها بالمقصلة بعد أن حاول تهريبها عشيقها «هانز إكسل فون فيرسن» وفشل فعذبوها وحلقوا لها شعرها وجرت للمقصلة، وبالطبع تعرفان نهايتها والمقصلة تأخذ طريقها إلى رقبتها لتفصل العنق وتطير رأسها لتهبط في السلة، هانز بكى بجوار جسدها ليلا بشدة وقرر أن تدفن في مقبرة تليق بها ولكن جسدها تاه لسبب غير معروف، اسطورة عائلتنا تقول إن فردًا من عائلتنا كان ضمن أحد أتباع هانز إكسل الذي قرر تهريب جثتها وفي النهاية نج وفاز برأسها، هذا جزء قد يكون حقيقي أو غير حقيقي، المؤكد في عائلتنا حقًا إن هذا الشخص من عائلتي كان العشيق الثاني للملكة، أو الأول لا يهم، المهم أنه فاز بالرأس لنفسه، وها أنتما تريان أمامكما، رأس الملكة، ماري انطوانيت.

عاد بيير لينحني مرة أخرى في شكل مسرحي.

قال حازم بضجر:

- المهم ما جئنا من أجله.

اقترب بيير من جمجمة الملكة داخل وعاءها الزجاجي ورفع غطاءه وهو يقول:

- ليس هناك من سيكون حريصًا على هذه الأفلام مثل الملكة.

قلب الجمجمة وراح يستخرج من قلبها عدة أفلام فوتوغرافية، ثم مرّ على باقي الحراس الواقفين وراح يمد يده داخل تجويف العين ويسحب أفلام كاميرا قديمة كانت مربوطة بالداخل.

كان عبد الوهاب في هذه اللحظة لا يعرف ما يفعله، هناك قوة غريبة تدفعه، شيء أكبر من طاقته، شيء شرير، كانت يده تتسلل إلى جراب هيكل عظمي وراءه من هياكل الحراس.

عندما كان بيير يستخرج الأفلام ويضعها في الحقيبة، كان عبد الوهاب يتحسس الهيكل الذي وقف بجواره، قال بيير بعد لحظة:

- لا شيء آخر،كل الأفلام في هذه الحقيبة، بالطبع سأطلب بمضاعفة المبلغ مرة أخرى...

تسلم حازم الحقيبة من يده وراح يطمئن على الأفلام الموجودة بداخلها قبل أن تتسع عيناه، وهو يصرخ في عبد الوهاب أن يتوقف..

ففي تلك اللحظة كان عبد الوهاب يحمل بين يده جمجمة بشرية ويضرب بها رأس بيير في عنف عدة مرات متتابعة، وسط ذهول حازم.

واصل عبد الوهاب تشبثه برأس بيير وراح يخبطها في الحائط بعنف رهيب.

سالت الدماء على أرضية غرفة الملكة.

وشعر عبد الوهاب بقوة ما تحركه شيء أكبر منه.

شيء كان ينتظر عودة بيير.

نظر عبد الوهاب لجثة بيير بعد أن تناثر مخه تقريبًا في المكان في ذهول ، كيف فعل هذا ؟!

تطلع حازم لعبد الوهاب وهو يصرخ فيه:

- ما الذي فعلته يا مجنون، كيف سنخرج الآن؟

بلع عبد الوهاب ريقه وهو ينظر لجسد بيير الملقى وقلبه يخفق بعنف:

- لم يكن أنا! هناك شيء سيطر على عقلي، هناك شيء غريب يتحكم في.

بغتة راحت أعين هياكل الحراس تلمع في وجه عبد الوهاب وشاهدهم يتحركون اتجاهه ومكان تجويف العيون رأى كل شيء، رأى ذاك الجحيم المنتظر، فالتفت باتجاه حازم وهو يقول:

- لن يخرج أحد من هنا.

وسحب الصينيه من بين يدي هيكل الخادمة، وراح يقترب من حازم وفي عينيه شر رهيب،.

تراجع حازم للخلف وهو يزعق في وجهه أن يتوقف، ولكن من الجلي أن عبد الوهاب كان في عالم آخر، وهجم بكل قوته تجاه حازم، ولكن لثقل جسده خطواته البطيئة لم تسعفه، فدفعه حازم للخلف بقدمه وهو يتراجع؛ ليمر من الفتحة لخارج غرفة الملكة.

حالة عبد الوهاب بالداخل كانت عجيبه، فقد راح يزمجر في عنف وهو يصرخ صرخات غير مفهومة، وكأنه لا يستطيع أن يغادر الغرفة خلف حازم.

وبعد ثوان كان عبد الوهاب يحشر جسده الضخم ليحاول المرور، ولكن في تلك اللحظة التي مرت فيها رأسه، كان حازم يهبط على رأسه بكلتا يديه، ليسقط عبد الوهاب على الأرض فاقدًا الوعي.

وقف بعدها حازم فوق رأسه لا يعرف ما الذي عليه فعله في تلك اللحظة، وراح يحاول استعراض طريقة دخولهم لسراديب الموتى وهو يتساءل، هل سيستطيع الخروج؟

وراحت المخاوف الكثيرة تتعاظم في رأسه، قبل أن يشعر وكأن هناك يدًا ضخمة تضغط على رأسه بعنف، واحتقن

وجهه بشدة قبل أن يسقط فاقدًا الوعي بجوار رفيقه.

عندما فاق عبد الوهاب بعد ساعتين تقريبا، كانوا يقفون فوق رأسه ويبتسمون، عشيق الملكة يحمل رأسها والحاشية والخادمة والحراس، جاءت ابتساماتهم رائقة وهم يسحبونه ليدخل خلفهم مرة أخرى داخل الغرفة.

دخل مستسلمًا لهم وهو يبحث عن حازم بعينيه، ولم يكن هناك أي أثر لحازم وكأنه تبخر في الهواء.

اتسعت عينا عبد الوهاب وهو يرى بيير أو الأصح جسد بيير محطم الرأس ومخه متناثر وهو يقول له في بساطة:

- تسرعت سعدي، تسرعت، الآن لن تخرج من هنا مرة أخرى قطّ وارتفعت صرخات عبد الوهاب عنيفة يتردد صداها داخل غرفة الموتى.

بينما لم يكن هناك أي فكرة الآن عن مكان وجود حازم.

الذي اختفى داخل الممرات وسراديب الموتى وربما للأبد وسط ذلك الظلام الدامس المميت.

* * * * *

(٤)

الألم الذي راح يضرب رأسه بعنف كان يشتت تفكيره، يشعر بصداع رهيب يكاد يحطم رأسه.

كان يمر عماد الخولي في تلك اللحظة من جوار المقابر، لم يتوقف بتا ذاك الشعور الذي يقول له إنه مراقب.

توقف للحظة وتحسس رأسه وهو يتذكر كل ما حدث له منذ أفاق هذا الصباح ليكتشف أن هناك فترة زمنية لا يعرف عنها أي شيء وأنه عاشها، كم هو مؤلم أن تدرك أن جزءًا من ذكرياتك وذاكرتك لم يعد له وجود.

تحسس المسدس الذي يقبع في جيب الجاكت الداخلي بيده.

لحظات كثيرة قرر أن يتخلص منه، ولكنه تردد في آخر لحظة وقرر الاحتفاظ به.

شاهده وهو يلتفت للخلف بغتة وهو يقترب من باب المقابر، بلى أنه شبح لشخص ضخم يبعد عنه عدة أمتار.

بلع ريقه بصعوبة وتحسس شعر رأسه وهو يمرر يده على جبينه بعدها ليتأكد أنه لا يمر بحمى ما.

بلى هذا الشخص يتبعه تأكد عندما تحرك خطوات فوجد ذاك الرجل يتحرك باتجاهه.

لم يعرف لماذا اتجه عماد لداخل المقابر، ظلام دامس يحيط به.

الشواهد تشعرك أنها تتحرك باتجاهك، تشعر بثقل في قدميك وأنت تمر من جوار المقابر وتحسس بيدك شواهدها متجنبًا ألا تسقط في أي لحظة، تتخيل في أي وقت أن تفتح المقابر ويخرج الموتى ليسحبوا جسدك ويسحبوك إلى باطن الأرض لتنضم إليهم، تحرر رأسك من الأوهام، وتحاول الفرار، وتشعر أن ذاك الذي يتبعك لن يتوقف ثانية عن النيل منك، يجب أن تختبئ، قبر مفتوح يسحب جسدك لداخله ويكتم أنفاسك وعيناك تراقب الطريق المظلم وأنت تسمع الصوت المقترب، هذا ما فعله عماد دون رغبة منه أو وعي.

ظل داخل ذاك القبر المفتوح ضامًا جسده الذي يرتجف بعنف، ودقات قلبه تزداد بقوة ويشعر بها في أذنيه كدقات طبول الحرب، اللعنة، يلمح ضوءًا يمر من بعد خطوات عنه، إنه الرجل يبحث عنه.

أخرج عماد المسدس وراح يديره يسارًا ويمينًا تجاه الضوء، في لحظة ما قد تنطلق رصاصة لتستقر في ذاك الجسد الذي لا يعرف صاحبه بعد، ربما هي لحظة النهاية له أو لمن يتبعه.

الشخص يتوقف وينادي بصوت ما على عماد، يسمع عماد الصوت ويحاول تميزه وسط ذاك السكون الرهيب، ولكن

خوفه وارتباكه لا يجعله يميز من صاحب الصوت، لماذا يبدو له صوت ذاك الشخص مألوفًا؟

يمر الرجل بجوار المقبرة ولا يلمح عماد القابع في مقبرة على بعد خطوات أسفل قدميه.

وقف عماد بهدوء وانسحب لخارج القبر، الرجل يقف ظهره لعماد، يتسلل ببطء وخوف، يرفع عماد مسدسه ويلصقه بظهر الرجل وهو يقول بعنف:

- لا تتحرك، من أنت؟ وماذا تريد منى؟

- عماد! ما الذي تفعله؟

دار الرجل بجسده ببطء وتلاقت نظراتهما ولمعت أعينهما على ضوء كشاف الهاتف المحمول الذي يحمله الآخر قبل أن يطلق عماد زفرة حارة ملتهبة كانت محبوسة في صدره وهو يقول:

- سامح، ما الذي أتى بك لهنا؟ لماذا كنت تتبعني؟

سامح كان يبدو أكبر من عماد بعدة سنوات تخطى الثلاثين بسنة أو اثنتين، طويل القامة، أسمر اللون، عيناه سوداوان واسعتان متألقتان، شعره شديد السواد مجعد، يبدو جسده أقرب إلى أجساد الملاكمين، كان قد تعرف بعماد منذ خمس سنوات تقريبًا ونشأت بينهما صداقة خاصة جدًا، وكانا

مقربين كأصدقاء لدرجة ملحوظة، والبعض أطلق عليهما أن سامح ظل لعماد برغم أنه يكبره بسنوات.

كان سامح يعمل محاسبًا في شركة خاصة تعمل في توزيع وبيع فلاتر المياه بجوار عمل عماد السابق وكانا يلتقيان ليسهرا سويا كل يوم تقريبا ويخططان لحياتهما القادمة في تفاؤل برغم سوء ظروفهما.

لم تمر هنيهة حتى كان الصديقان يحتضن كل منهما الآخر، قال عماد بعد أن هدأ قليلًا وهما يخرجان لخارج المقابر:

- ما الذي أتى بك لهنا يا سامح؟

تطلع له سامح بعينين حائرتين وهو يجيبه:

- أنت من اتصل بي أمس وقال إن علي أن أقابله في هذا المكان لأمر ضروري،، لقد تعبت كثيرًا حتى وصلت لهنا بناء على وصفك أنت للمكان.

-أنا؟

- نعم أنت وهل أنا مجنون لآتي لهذا المكان متبرعًا.

- ألم أقل لك ما الذي كنت أريده منك؟

- كلاّ، كل ما أخبرتني به أن انتظرك هنا قرب هذا المكان في الثانية صباحًا وألا أغادر مكاني مهما حدث حتى أراك واتبعك

من بعيد حتى تقترب أنت مني وتكلمني، وألا أخبر أي أحد أيا كان، الأمر أصبح يشبه الأفلام البوليسية حقًا ، والآن ما الذي جعلك تختار هذا المكان القفر لمقابلتي؟

تطلع عماد حوله قبل أن يقول ذاهلًا:

- لا أعرف، حقيقة لا أعرف.

تطلع له سامح بحيرة أكثر وهو يتأمل ملامح وجه عماد الذي كان يظهر عليها الحيرة بالمثل قبل أن يقول:

- هيا نغادر تلك المقابر فقلبي يحدثني أن دخولنا لها الآن شر، صحيح من أين أتيت بذاك المسدس لقد أخفتني لدرجة الموت.

بغتة ارتفع صوت غاضب من بعيد داخل المقابر وسمع صوت خطوات تجري تجاههما قبل أن يسمعا صوت طلقة رصاص تدوي وسط صمت القبور، وشك عماد أنها مرت بجوار رأسه، هتف في سامح أن يهرب.

راحا يركضان والأصوات تتبعهما بعنف وصوت عدة طلقات يتردد كل ثانية، وشك عماد أن في لحظة ما قد تستقر رصاصة في جسده ويفارق الحياة.

كان سامح يصرخ وهما يواصلان الجري والاختباء خلف شواهد القبور:

- ما الذي يحدث؟ من هؤلاء الذين يطاردوننا ويريدون قتلنا؟

- لا أعرف، من الأفضل أن ننفصل حتى نشتت انتباههم.

همس سامح بخوف وترقب:

- من أنت؟ أكاد أشك أنك لست بعماد صديقي؟

- ليس الآن، هيا أهرب، سأكلمك فيما بعد.

انطلق سامح في خطوات متعثرة بعيدًا عن مكان عماد، وكان يلتفت من آن لآن حتى يرى أين اختفى عماد بالمثل، وقف وتأمل المكان بعد عدة دقائق، كان قد ابتعد وخطوات المطاردين لم تعد مسموعة، أطلق زفرة وهو يلقى نظرة إلى شواهد القبور قبل أن ينسحب في تجاه باب المقابر وعيناه تلمعان.

بعد عدة دقائق أخرى كان سامح يستقل سيارته التي كان قد ركنها بجوار السور، وانطلق بها لا يلوي على شيء، وظل ينظر في هاتفه المحمول للحظات، قبل أن يضعه في جيبه وهو يتمتم بشيء ما بصوت غير واضح.

كان قد اختفى المطاردون وعماد يقفز من فوق سور المقابر وسط الظلام المطبق.

وشعر بغتة أن يعرف حقًا إلى أين عليه أن يتجه الآن ليختبأ

من مطارديه، وتألقت عيناه في حيرة وعقله لا يتوقف عن التفكير وهو يجوس خلال المكان بعين خبيرة.

ولا يعرف لماذا جاء في خاطره أنه يحتاج لحبيبته هدى في تلك اللحظة، فهو يشتاق إليها بصورة جنونية الآن.

* * * * *

باريس

مطار شارل ديغول

الطيار حازم الجابري يطلب من الركاب ربط الأحزمة، الطائرة على وشك الإقلاع.

الركاب يبدأون في ربط أحزمة مقاعدهم، الاسترخاء بادٍ على بعض الوجوه.

المضيفات يقطعن الممر بين الكراسي للتنبيه على ربط أحزمة الأمان.

تبدأ حركة الطائرة بعد دقيقة تقريبًا، قبل أن تغادر عجلاتها أرض المطار، وتنطلق لتحلق إلى أعلى.

الجو صحو، والطقس الجوي مواتٍ، لا شيء سيعكر صفو الرحلة.

حازم الجابري يتأمل الشاشات أمامه ويطلق زفرة ارتياح، لأول مرة يشعر بأن عليه أن يفر من باريس.

الطائرة تواصل العلو حتى تستقر في مسارها المحدد، وينطلق صوته عبر المذياع الخارجي للراغبين بفك الحزام فكل شيء على ما يرام.

هل حقًا كل شيء على ما يرام، منذ أربعة أيام، كان هناك داخل تلك سراديب الموتى أسفل باريس.

كان الموت قريبًا منه إلى درجة لم يتخيلها من قبل، فقد جن عبد الوهاب وقتل بيير، وكاد يقتله هو أيضا، قبل أن يفقد الوعي بجواره بغتة.

عندما أفاق وقتها وجدها فوق رأسه، جحظت عيناه بشدة وتفصد العرق عن جسده فقد كان بعيدًا عن غرفة الملكة حيث سقط مغشيًا عليه، لم يكن قد غادر ممرات الموت أيضا العظام حوله في كل مكان وهي فوق رأسه تقف وقد ارتدت فستانها الذي يضوي وسط الظلام، لكنها كانت دون رأس، اللعنة، قلبه يرتجف بقوة وهو يتراجع زاحفًا للوراء، ولكنه يرى يديها تتحرك وهي تشير إليه أن يتبعها، أي شبح هذا؟

بلع ريقه بصعوبة بالغة وهو يمسح العرق المتفصد عن جبينه بغزارة، ولم يكن أمامه حل سوى أن يتبع إشارات ذلك الشبح.

راح لنصف ساعة يسير وراءها وشعر وكأنه يدور في دوائر من السراديب والممرات التي لا تنتهي.

أخيرًا وجدها تقف أمام باب حديدي صدئ وتشير إليه بيدها قبل أن تختفي من أمام عينيه.

وجد سلسلة حديدية تلف الباب الذي يقف أمامه الآن، بدأ

حازم يستخدم ما تبقى لديه من عزم وهو يحرك الباب بعنف للأمام والخلف ويدق بخوذته على قفل الباب، وفي النهاية لأن القفل تحت ضرباته، وكسر، خرج من الباب ولمح فوق رأسه ذاك السلم الذي يؤدي لأعلى.

سلم حجري قديم يصعد لأعلى عشرين درجة تقريبًا، قبل أن يجد أمامه بابًاحديديًا آخر، وكان عليه قفل هو أيضا وسلسلة ضخمة ولكن كانت هناك فرجة بين درفتي الباب، واضح أن أحد المتسولين كان يتسلل لينام على تلك السلالم فهناك بطانية قديمة متهالكة وعدة كراتين وبقايا طعام عفن.

عندما خرج أخيرًا حازم، وجد نفسه بالقرب من ميدان دي فوزاج في حي نوتردام لا يعرف كيف استطاع قطع كل تلك المسافة الطويلة أسفل باريس.

وأطلق ساقيه للريح كما يقولون، ولكن في تلك اللحظة راح يتذكر كل شيء وكان عليه أن يحل عدة أمور معلقة.

أولها مواجهته مع أخته عندما تسأله عن عبد الوهاب، قال لنفسه إنه سينكر أنه قابله في المطار وليدع أخته تبلغ الشرطة عن اختفائه، حتى لو ظهر عبد الوهاب لن تكون لديه القدرة على أن يحكي الحقيقة، وهذا ما حدث فلم يظهر عبد الوهاب خلال الأيام الثلاثة السابقة.

وأخبر أخته أنه حذرها من عبد الوهاب عدة مرات وأكيد أنه متورط في علاقة عاطفية مع امرأة ما وغادرها لهذا، وكان عليه أن يغادر هو أيضا باريس فالعمل لا ينتظر.

انتابته ارتعاشات عنيفة وهو يتذكر ما جرى وبدا الأمر كفيلم سينما يعاد تكرارا أمام عينيه.

أخيرًا ها هي الأفلام التي طلبها ذاك الملعون في حقيبته الشخصية إنه لا يعرف لماذا يطيعه، شيء أقوى منه أشبه بالسحر يحركه، قريبًا سينتهي هذا الكابوس الذي وجد نفسه فيه دون إرادته، وبعد أن كان قد نسى كل شيء منذ سنوات بعيدة، ليتخلص من الكابوس أول هبوطه لمطار القاهرة.

فجأة ارتجت الطائرة بعنف، تأمل حازم الشاشات أمامه، واتسعت عيناه واتقدتا بقوة، فهناك شيء خطأ يحدث في تلك اللحظة، أية لعنة هذه التي لا تريد أن تفارقه.

وراحت الطائرة ترتج بعنف ومساعده ينظر إليه وقد ظهر القلق على ملامحه.

ارتعد جسد حازم بشدة وعنف وهو يرى تلك النظرة المرسومة على وجه مساعده.

لم تكن تلك المشكلة، بل المشكلة الأكبر أنه كان يرى الجالس بجواره هو عبد الوهاب زوج أخته، وقد رسم ابتسامة مقيتة

على شفتيه، ابتسامة موت.

وقال لنفسه هذه المرة لم ينجُ، وليس وحده بل بركاب طائرته كلهم.

وراحت أنفاسه تضطرب في صدره بعنف رهيب

قبل أن يشعر حازم أن الطيارة ستهوى الآن وسط ارتجاجها المتزايد بشدة، ولن يغادر باريس قطّ.

* * * * *

انتهت غادة عبد العليم من تصوير آخر مشهد لها في فيلمها الأخير، سمعت كلمات مبروك من العاملين والمشاركين والمخرج وهي تغادر وانهالت التهاني.

كانت الساعة قد شارفت على الرابعة صباحًا، تشعر بإرهاق لا حدود له.

الإرهاق لم يكن شيئًا بجوار عقلها الذي لم يتوقف ثانية عن التفكير حتى وهي تؤدي آخر لقطات الفيلم.

كانت تحدث نفسها وهي تغادر مكان التصوير متجهة إلى سيارتها، أشارت بالتحية للبعض وهي تغادر.

وهمس البعض أن النجمة تحدث نفسها.

لم تهتم كان هناك سؤال يؤرقها ويحطم أعصابها في تلك

اللحظة، لماذا لم يظهر حتى الآن؟ لماذا؟

كانت غادة في حوالي الأربعين من العمر ولكنها تظهر أصغر من سنها بكثير تحافظ على نجوميتها ورشاقتها دوما وتلتزم بنظام غذائي خاص نادرًا ما تخالفه وهذا في أضيق الحدود.

لم تفقد بريقها بعد وما زالت العروض تنهال عليها ليومنا هذا، بعضها عروض عمل والأكثر عروض زواج!

لقد اتصلت به منذ ثلاثة أيام وقالت له إنها جاهزة لتنفيذ طلباته، قال إنه سيقابلها وسوف يحدد الميعاد خلال ساعات، لماذا اختفى فجأة كما ظهر فجأة من ثلاثة أسابيع؟

تتذكر تلك الليلة بوضوح فهي ليلة لا تتكرر، ليلة أرجعت لحياتها رعبًا قد نسيته منذ سنوات بعيدة تجاوزت العشر أو حاولت حتى نسيانه، لماذا يعود الماضي ليقتل كل تاريخها؟ لن تسمح بهذا حتى لو قتلت أحدًا، لقد اختارت أن تعيش حياتها كنجمة مشهورة لماذا يعود ذلك الماضي ليقضي على أحلامها.

كانت تحاول طرد الصور عن خيالها ولكنها راحت تلاحقها بعنف وبلا توقف.

صور يتزاحم فيها الماضي القريب بالماضي البعيد لتجد جسدها يواصل ارتعاشه وهي تدير محرك سيارتها وتنطلق.

بدأ الأمر منذ ثلاثة أسابيع كما قلنا، كانت غادرة وقتها قد أنهت سهرتها في ذلك الكافيه الفاخر، وكانت منتشية قليلًا، تجرعت بعض الخمر ولكن ليس كثيره، وبالطبع كانت هناك المئات من النكت ألقت في أذنيها فهي أنثى جذابة تجذب ذباب الرجال بالإضافة إلى أنها نجمة لسنوات.

المرآب كان هادئًا في تلك اللحظة، دخلت إلى سيارتها، وكانت تدفع المفتاح ليلج مكانه ورفعث عينيها عندما رأت هذه الصورة الموضوعة على زجاج سيارتها بحيث ترى تفاصيلها من الداخل.

اتسعت عيناها فزعًا وهي تنظر للصورة، ثم اتضح أنهما صورتان كل مساحة أسفلها صورة، فتحت باب السيارة وخرجت وسحبت الصورتين وراحت تحدق فيهما غير مصدقة، قبل أن تدخل للسيارة وتحتل مقعدها، حينها تسمع صوته يأتيها من داخل السيارة هادئا وهو يضع يده على فمها كي لا تصرخ:

- مساء الخير يا فنانة؟ لا داعي للصراخ، ليس في مصلحتك.

كانت الصورتان في يدها حتى تلك اللحظة، سحبهما بهدوء من يدها وهو يقول:

- لم تعدي بحاجة لمشاهدتهما أليس كذلك؟ سأرفع يدي عن

فمك وأرجو ألاّ تفعلي شيئا يؤذيكِ.

هزّت رأسها وهو يرفع يده عن فمها، راحت تحدق فيه لا تعرف لماذا تستسلم له تستطيع أن تفعل الكثير وتتخلص منه، كان شخصًا نحيفًا متوسط الطول، عيناه متقدتان، ليس ما في مظهره وملامحه ما يدل على أنه سفاح أو مجرم.

قالت وهي تطلق تنهيدة حائرة:

- من أين أتيت بهاتين الصورتين؟

ابتسم وهو يربت على يده بالصورتين:

- ليس الوحيدتين لدي، هناك الكثير والمثير.

حاولت أن تبلع دهشتها فلا يمكن أن يكون هناك أحد وقتها التقط هذه الصور، من المستحيل، كيف؟ ولكنها قالت في بساطة وهي تحاول استخدام أنوثتها:

- طلباتك؟

ابتسم لها وهو يضع الصورتين في جيب جاكت بذلته:

- الأفضل أن نتحرك بالسيارة من هنا، فأنا لا أحب الفضوليين، ومنظرنا هكذا ربما يثير بعض التساؤلات، هيا، انطلقي.

أطلقت زفرة أخرى بصوت مسموع قبل أن تنطلق بسيارتها مستسلمة برغمها، وبعد دقائق كانت السيارة تقطع شوارع

القاهرة الهادئة بعض الشيء في تلك الساعة، قالت بعد فترة ران فيها صمت ثقيل:

- والآن، ما الذي تريده؟

أجابها ببساطة وثقة:

- لن أكون طماعًا أو شرهًا، أول شيء أريدك أن تأخذيني للمكان الذي التقطت فيه هذه الصورة.

اتسعت عيناها في دهشة وراحت تتأمل عينيه المتسعتين الغريبتين وهي تقول:

- كيف لديك هذه الصور ولا تعرف أين تم تصويرها؟

- هذا ليس مهما، المهم أن تأخذينني الآن إلى ذلك العنوان.

- لقد مرت سنوات كثيرة جدًا، ومؤكد لا أتذكره.

- وبعد،لا أظن أنك نسيته حقًا، عنوان كهذا لا ينسى.

- ومن ضمن لك أن ذلك المكان سيكون على حاله؟

قال وهو ينظر في عينيها بعينين متقدتين:

- مؤكد سيكون على حاله، هذه الأماكن تتوارث ولكن لا تختفي، هيا انطلقي لا تضيعي الوقت.

ضغطت دواسة البنزين وهي تنظر كل حين لجارها في ذهول،

من أين أتى هذا المجنون؟ وأي جحيم يحمله لها؟

أشعلت غادة سيجارة وراحت تنفث دخانها وهي تتطلع لذاك الطريق الذي كانت تقطعه بسيارتها.

- هل ستتركني عندما نصل لهناك؟

- لم نتفق بعد؟

- ألا تخاف مما تفعله؟ أستطيع أن أجند كل معارفي للوصول إليك وقتلك.

- الخوف ليس في قاموسي، وأهلا بمعارفك في أي وقت، ولكن حينها لا تلومين إلا نفسك، فهذه الصور ستجدينها موجودة حينئذ على كل المواقع وشبكات التواصل الاجتماعي، أظن واضح وقتها أين ستكونين.

- كيف وصلتك؟ مستحيل! أنا لا أفهم.

- من مصلحتك ألا تفهمين، المهم الجزء التالي.

- أي جزء تقصد؟

ابتسم وانطلقت ضحكته وهو يمد يديه ليسحب السيجارة من يديها ويدفعها في فمه قبل أن يطلق دخانًا في وجهها وهو يقول:

- سمعت أن أجر آخر مسلسل لك بلغ عشرين مليون جنيه،

أليس كذلك؟ أعرف أنك تتعبين حقًا ولكني لن أكون طماعًا أو شرهًا كما قلت من قبل، سيكفى نصف أجرك.

ضغطت على دواسة الفرامل فاندفع جسداهما إلى الأمام، وانطلقت من صوتها نبرة غاضبة وهي تقول:

- عشرة ملايين جنيه أأنت مجنون؟ بالفعل أنت مجنون، أنت شاهدت الصور وتعرف أنني أستطيع أن أفعل الكثير..

كان يضحك في تلك اللحظة وهو ينظر لها:

- لا داعي لكل هذا الكلام،إنني أعرف خطورتك، وأعرف أنك ستطاوعينني...

حرك شيئًا صغيرًا في يده أمام عينيها في تحد وهو يردف:

- ليس في الأمر مساومة، عشرة ملايين في البداية فقط، الأمر لم ينته بعد،أظن واضحًا أنك لا تريدين لأحد أن يرى تلك الصور.

- لكن عشرة ملايين مبلغ ضخم...

- قلت كبداية، هيا انطلقي ولا داعي للأفعال الصبيانية.

وراح يحرك ذلك الشيء الغريب أمام عينيها، فضغطت على دواسة الوقود وداخلها يغلي بشدة لدرجة تكاد تصل لمعدل سخونة محرك سيارتها في تلك اللحظة، وراحت تردد لنفسه

كل فترة، عشرة ملايين كبداية، اللعنة!

كان الجالس بجوارها هو عماد الخولي حقًا كما توقعت.

وكان يبدو هادئًا للغاية وهو يلقي أوامره لها وهي تنصت له، كانا يقتربان من المعادي، راح عماد يتأمل الطريق ويبتسم.

قالت وهي تقترب من المكان الذي يصر عماد إلى معرفته.

- عشر دقائق ونصل، ولكني لن اقترب من هذا المكان مرة أخرى، سأقف على ناصية الشارع وأشير لك عليه لو أحببت النزول لمعاينته.

- كان يكفي أن تعطيني العنوان لو الأمر كذلك، لكني أريد أن أجرب شيئًا، وأنت ضرورية لهذا.

- لن أدخل إليه مرة أخرى، هل تفهمني؟

- عندما نصل سنفكر في الأمر.

لأول مرة تلاحظ أنه يضع حقيبة أسفل قدميه وبدأ في تلك اللحظة يرفعها، وينظر داخلها ويده تعبث بالداخل، ارتجف جسدها وهي تظن أنه قد يأتى بشيء من الحقيبة ليهاجمها.

لكن طردت ذلك الخاطر لو أراد مهاجمتها لفعل من البداية، إنه يريد نقودها وهو يتحكم فيها الآن.

لماذا تشعر في تلك اللحظة أن الأمر يتخطى النقود وخلفه

الكثير من الغموض.

أخيرًا كانا يقفان بالسيارة على بعد عدة أمتار من تلك الفيلا، ذلك المكان الذي التقطت فيه تلك الصور التي يهددها بها الآن، تأمل عماد الفيلا من مكانهما وهو يقول لها ببساطة:

- اقتربي أكثر.

أطلقت زفرة حادة وهي تقترب ببطء من الفيلا، وجسدها يرتعش وهي تمر أمام بوابتها.

لمح عماد الاسم المكتوب على الفيلا، واتسعت عيناه هو هذه المرة، قبل أن يقول بغيظ:

- هيا، لنتحرك.

- ألم أقل لك من الخطر المجيء لهنا.

- سنأتي فيما بعد،هيا الآن.

في الطريق انزلته عندما طلب منها التوقف، أخبرها أن تعود إلى بيتها وأن تجهز المبلغ نقدًا، وقال إنه سيتصل بها، سجل رقم هاتفها على هاتفه وابتسم وهو يودعها قائلًا:

- مبروك على الفيلم الجديد.

كانت غادة في تلك اللحظة قد وصلت إلى شقتها، كان القلق يعصف بها وهي تفتح باب شقتها، ولم تظن وقتها أن هناك

مفاجأة أخرى الآن تنتظرها بداخل شقتها في تلك اللحظة، مفاجأة تعيد ماضيًا حاولت مرارًا وتكرارًا أن تنساه، ولكنه يعاود الظهور منذ رأت عماد أول مرة.. ماض!

ماض يقتل كل شيء، وللأبد.

* * * * *

(٥)

ظلام تام، يتعثر، يشعر بهم خلفه، تحاول عيناه اكتشاف الظلام، يحمل صندوقًا في يده، أنفاسه مضطربة، يقف ويجري، يسمع خطواتهم تلاحقه، يصطدم بشاهد قبر مفتوح، ينظر حوله بدهشة أنه وسط المقابر، يحمل ذلك الصندوق في يده، ينظر يمينًا ويسارًا، يرتمي على الأرض، ويسحب جسده بهدوء، قبر مفتوح أمامه، يمد يده ليضع الصندوق داخل القبر، يتصلب في مكانه عندما يجد يدا تقبض على يده، يحاول أن يسحب يده من تلك السلميات العظمية التي تقبض بقوة على يده.

يحاول الصراخ، الصرخة تحبس بداخله، يتفصد العرق عن جبينه، يشعر بملمس قطرات العرق البارد وهي تسيل على ظهره، اليد أقوى منه، يشهد ذلك الوجه الممسوخ الذي يخرج من القبر وقد ذاب اللحم عنه، وظهر فكاه أمامه ويكادان يقبضان على ساعده، أسنان تنغرس في يده، يشعر بالألم الرهيب يتخلل جسده، يضرب بيده تلك الرأس المشوهة.

يراهم في تلك اللحظة فوق رأسه، موتى في أكفانهم وقد بليت وظهرت هياكلهم العظمية أمامه، صوت يخرج من بين أسنان تصطك بعنف، صوت يصرخ فيه، الماضي قاتل، لا تعبث بالماضي، أنه ينتظر الإشارة، لا تعبث.

يحاول الانكماش حول نفسه وهم يواصلون الاقتراب، تخرج الصرخة أخيرًا من بين شفتيه عندما ترتفع أيادي الموتى لأعلى لتهبط على رأسه بعنف، قبل أن يرى أقربهم إليه يرفع رأسه بأصابعه العظمية، وآخر يمرر سكينة على رقبته ببطء، دماؤه تسيل في تلك اللحظة، تخرج الصرخة من بين شفتيه رهيبة قبل أن يستيقظ بغتة وجسده يرتجف بشدة والعرق يبلل جسده.

أطلق عماد زفرة قوية وهو يمد يده إلى زجاجة ماء بجانبه ويرفعها على فمه وراح يتجرع المياه وكأنه يشرب لآخر مرة في حياته، الكابوس يقبض على أنفاسه، أنه يتذكر التفاصيل، يهزّ رأسه بشدة، تبا!

تطارده الكوابيس بعنف، ودومًا تدور حول صندوق يحاول أن يهرب به لمكان ما ليخفيه، ودوما ينتهي الكابوس ودماؤه تسيل ويكاد يفارق الحياة.

ذاكرته مشوشة، وتأتي إليه من حين لآخر بعض الذكريات التي لا يتذكر أنه قد عاشها من قبل.

أبواب ذاكرته تنفتح ولكن ببطء، وكل مرة يصطدم بشيء غريب.

آخرها أمس

تذكر وقتها أول يوم جاء فيه إلى الستوديو وكيف تنام من التعب، ومرت ساعات طويلة وهو في حالته تلك، جرح المطواة ما يزال يؤلمه، شعر بالجوع، كانت الساعة وقتها تقارب التاسعة ليلا، لقد نام ليلة كاملة، كيف نام كل هذا الوقت؟

لا شيء هنا ليأكله، يفتش في جيوبه ويستخرج المبلغ البسيط الذي يحمله والذي يمثل كل ثروته الآن، يضحك بعبث وهو يصعد من غرفة القبو الصغيرة لأعلى حيث الحمام، لا مياه ليغسل وجهه، الحمام يحتاج لتنظيف كامل، التراب في كل مكان، يريد أن يخرج ليأتي بطعام ولكن في تلك اللحظات كان ما زال تعبًا، لماذا تفعل به الحياة كل هذا، ولماذا تعامله بتلك الصورة.

يطالع هاتفه، يجد رسالة من هدى تسأل عليه، واضح أنها اتصلت به أكثر من مرة وهو نائم، لا يريد أن يتصل بها الآن، سيشعر معها بمزيد من الألم وهو يخبرها بفشل جديد في حياته.

يتأمل الستوديو والصور الملقاة بإهمال في إطارها في كل مكان، يصعد للطابق العلوي مرة أخرى حيث الكاميرات التي تركها جده، شيء يدفعه للصعود، يتأمل كل شيء بهدوء، صندوق ضخم ملقى بإهمال في ركن جانبي من غرفة

التصوير، يقترب منه، هناك قفل عليه، يفتش في سلسلة المفاتيح التي يحملها وهو ينظر للقفل، يفتح الصندوق، لا جديد، صور كثير بالداخل، يتأملها وهو يستعين بكشاف هاتفه المحمول، شخصيات وبشر في الصور، لقطات من ماض، لا شيء مهم وهو يمد يده ليعبث بمئات الصور بداخل الصندوق، لماذا يغلق جده صندوقا ضخما على هذه المجموعة من الصور بالذات تبدو طبيعية، تصطدم يد عماد وقتها بصندوق صغير، مغلق بقفل غريب الشكل، يمرر يده على ذاك الصندوق ويبحث بين المفاتيح التي يحملها على مفتاحه، فلا يجد، ما بداخل هذا الصندوق؟ لا شيء مهم بالتأكيد مزيد من الصور، هناك كاميرا غريبة الشكل قديمة بداخل الصندوق الضخم وبجوارها نيجاتيف أفلام قديمة قد قام جده بتحميضها، لا شيء مهم حقًّا، لينزل ويخرج ليأتي بأي طعام فلن يعيش حياته بدون أكل.

يخرج من الاستوديو يغلق الأقفال وراءه، يتأمل السماء فوقه، السواد يخيم على كل شيء والصمت قاتل، يسأل نفسه السؤال الذي لم يجد له أية إجابة: لماذا اختار جده هذا الخلاء ليكون استوديو له؟

الظلام مخيف، والسكون المحيط بالمكان تشعر به وكأنه يتحرك حولك. صمت له لون وطعم الخوف.

يتحرك عماد وهو يتحسس جيبه، هاتفه المحمول ومبلغ يكفيه ليومين ثلاثة حتى يعود للعمل، الظلام السادر هو المسيطر على كل شيء وعماد يتحرك اتجاه أضواء تلمع على بعد مئات الأمتار، أول طريق تبدأ عنده الحياة، لا يعرف لماذا لا يوجد أحد هنا في تلك اللحظة، ليته ما سأل نفسه هذا السؤال، فلم تمر وهلة حتى ظهرا أمامه، فتيان يظهر على ملامحهما الشر في أبشع صورة، كانا يحملان كشافين، وجها الكشافين في وجه عماد، وضع عماد يده على عينيه، ارتسمت ضحكة غريبة على شفتي أحدهما وهو يقول:

- الزبون من أين؟

بلع عماد ريقه والآخر يدور حوله ويتحسس جيوبه:

- اخرج ما في جيوبك.

قال عماد وهو يبعد يد الشاب عن جيوبه:

- ليس معي شيء.

قال الشاب وهو يلف يده حول رقبة عماد من الخلف:

- لا داعي للعنف، اخرج ما في جيبك بهدوء وإلاّ.

لم يعرف عماد لماذا في تلك اللحظة دفع رأسه للخلف بقوة لتصطدم بأنف الشاب بعنف شديد، فخرجت صرخة من بين

شفتي الشاب وهو يتحسس الدماء التي تنزف من أنفه، ثم صرخ في عماد:

- أنت من جلبت لنفسك هذا.

ثم أخرج الشاب مطواة وشرعها في وجه عماد، بينما وقف مرافقه مبتسمًا يوجه كشافه تجاه الاثنين وهو يداعب شفتيه بأصابعه في تلذذ بشع وكأنه فرح لتكون نهاية الواقعة بتلك الصورة.

كانت المطواة تشق طريقها في تلك اللحظة لتغرس في صدر عماد الذي تراجع للخلف وهو يبحث عن مساحة للفرار، لكنه كان محاصرًا بالفعل بين الشابين، مال على الأرض ومسك حفنة من التراب قذفها في عين الشاب الحامل المطواة، ولكنه لم يتراجع رغم هذا وظهر التوحش على وجهه وهو يلوح بالمطواة يسارًا ويمينًا، في تلك اللحظة، شعر عماد باليدين اللتين تكبلانها من الخلف، كان الآخر، حاول أن يحرر جسده مثلما فعل أول مرة ولكن الشاب كان حريصًا على ألا يستطيع عماد أن يفلت منه، اقترب الآخر منه ووضع المطواة على رقبته وهو يضحك في بشاعة، ويفتش جيوب عماد ليخرج الهاتف المحمول وبضع جنيهات لا تذكر.

اتسعت عينا الفتى وهو يضع الهاتف والمبلغ في جيبه وهو يقول:

- أتضيع حياتك من أجل هذه التفاهة؟ أنت مجنون! العالم لا يصلح للمجانين.

أنهى الشاب جملته وهو يدفع المطواة في بطن عماد، وانطلقت صرخة رهيبة من بين شفتي عماد والمطواة تخترق لحمه، وتركه الشاب ليسقط على الأرض مضرجا في دمائه.

وفي تلك اللحظة لم يعرف عماد من أين أتى هذا الوهم، فقد سمع صوت كلاب تنبح بعنف رهيب، ويقترب صوتها من المكان وهو في طريقه ليفقد الوعي وهو يزحف مبتعدًا عن الشابين الواقفين فوق رأسه، بينما انتبه الشابان فجأة لصوت النباح العالي، وفجأة ظهر هذا القطيع من الكلاب السوداء الضخمة.

وفي تلك اللحظة كان الشابان يحاولان الفرار بينما يطاردهما ذاك القطيع الذي ظهر من العدم تقريبًا.

لمح عماد ذاك الكلب الضخم يقترب منه ويتشممه قبل أن يعود ليجري ليلحق بالفوج، ظن عماد لثوان أنها هلاوس الموت، وانهار الخط الفاصل في عقله بين الحقيقة والهلاوس، فظل يزحف وأنفاسه تضطرب بعنف، وأحس بضربات قلبه تضعف ودماؤه تسيل من جرحه بغزارة.

يشعر بأن نهايته تقترب، يتحرك وهو يحاول أن يستند على

الفراغ حوله فيقع ثم يقوم، يحركه الخوف والفزع من فكرة الموت الآن وفي تلك المنطقة.

لم يبعد كثيرًا عن مكان الأستوديو، يجب أن يعود لهناك هذا هو الخاطر الوحيد الذي يسيطر عليه في تلك اللحظة، يضغط على مكان الجرح بيده ويشعر بملمس الدماء اللزج تحت يديه، أيموت الآن حقًا؟

لم يعرف كيف وصل إلى الاستوديو، ولا يعرف كيف استطاع أن يصعد للدور العلوي، شيء في عقله وخاطر رهيب يتردد في ذهنه أن يواصل صعود درجات السلم القليلة لأعلى، دماؤه تفر هاربة من جسده بقوة، وبدأ يشعر بأنه ذاهب حقًا للنهاية.

يتعثر، يده تصطدم بأشياء تتساقط حوله.

يحاول أن يستند على أي شيء في طريقه فيقع.

أنفاسه تتلاحق ودقات قلبه تخفت لدرجة مخيفة معلنة قرب نهايته.

ارتمى على الصندوق الضخم الذي وجده أمامه وراح يحاول استعادة أنفاسه ودمائه تتسرب من جسده، وربما غاب عن الوعي أو ذهب إلى عالم آخر بعيدًا عن تلك الحياة التي كانت تنبض في جسده منذ قليل.

آخر ما يتذكره تلك الرائحة النفاذة التي اخترقت أنفه، وتلك السحابة الغامضة من الدخان الغريب تنتشر حوله، ثم سقط أخيرًا مغشيًا عليه وهو يسمع صوت نباح الكلاب من بعيد عنيفًا يخترق رأسه، وهلاوس النهاية لا تتوقف.

عوالم كثيرة وذكريات تضرب رأسه بعنف قبل أن تختفي المشاهد من أمام عينيه ويزيد الظلام.

* * * * *

(٦)

قبل مدة من الوقت الحاضر.

صرخت غادة عبد العليم وهي تراه يجلس أمامها في هدوء وقد وضع ساقًا على ساق وينظر في لا مبالاة لسقف شقتها، خرج صوتها به رنة غضب واضحة وهي تقول:

- كيف دخلت إلى هنا؟

ساد صمت ولم تتلق ردًا فأعادت جملتها متساءلة في حنق، عدل من جلسته وهبط بعينيه ليتطلع إلى ملامحها الغاضبة وهو يقول:

- أنسيتِ أنها شقتي من الأساس؟

استندت بيدها على الحائط بجوارها وهي تطلق زفرة حارة ملتهبة كانت تموج بداخلها قبل أن تقول:

- أظن أننا انتهينا من هذا منذ زمن بعيد،علاقتنا كانت واضحة وانتهت.

قال وهو يربت على ساقه:

- لم آت اليوم لأستعيد ذكريات الماضي بل جئت لأمر يهمك ويهمني.

- أي أمر هذا الذي يهمني ويهمك وقد يربطنا ببعض مرة أخرى.

- الموعد.

- أي موعد؟

- الموعد الذي ضربه لك شخص اليوم ولم يأتِ.

اتسعت عيناها وتطلعت إليه بذهول قبل أن تقول:

- كان يجب أن أتوقع أنك أنت من وراء كل هذا، لم أتصور للحظة أن مرضك قد يصل بك إلى هذه الصورة.

تنحنح ثم ابتسم ابتسامة غامضة وهو يقول:

- وهل تظنين حقًا أنني أدبر لك أمرًا ما، أنا مجرد رسول، يحمل لك رسالة وهدية تحتفظين بها لصديقنا المشترك وفي نفس الوقت أتسلم الأمانة التي كانت له لديك.

- ماذا؟

- كما سمعتِ أنا مثلك مجبر على تنفيذ أوامره، من يهددك هو نفس الشخص الذي يهددني، وليس علينا سوى تنفيذ رغباته وأوامره.

- مستحيل! أنت أيضا؟

- المهم كي لا نضيع كثيرا من الوقت هناك حقيبة مغلقة في دولاب غرفتك، رغبته الوحيدة إلاّ تفتحيها أو تعبسين بها، وسوف يتصل بك ليبلغك كيف تصل إليه.

- ماذا تحوي هذه الحقيبة؟

- من الأفضل لك ولي ألا تعلمي ما بها، والآن أين الأمانة المتفق عليها؟

بلعت ريقها وهي تحاول أن تكتم مشاعرها المضطربة بداخلها وهي ترد قائلة:

- في حقيبة سيارتي.

- أعطني مفاتيح السيارة، السيارة أيضا ستكون ضمن الهدية لصديقنا حسب أوامره أيضا.

- حازم، أصدقني يا حازم من يكون هذا الرجل؟

- صدقيني عزيزتي ما أعرفه قلته لك بوضوح، إنه الشيطان ذاته.

مدت يدها بمفاتيح سيارتها له في استسلام، ولمست أصابعه يدها فارتجفت وهي تسحب يدها بسرعة.

ابتسم ابتسامة ذئبية وهو يضغط المفاتيح بين يده ويقول:

- أتمنى أن نتقابل مرة أخرى قريبًا على العشاء ،، فالجوع

أحيانًا يكون قارصًا.

تحرك في اتجاه باب الشقة فأوقفته وهي تقول:

- أريد مفاتيح شقتي التي معك.

قال في شماتة غريبة:

- أوامره أن تظل المفاتيح معي، ويحذرك من تغير أقفال الشقة.

- شيطان!

- هو بالفعل شيطان، ولكنه لن يكون أول شيطان نقابله في حياتنا، أليس كذلك؟

اتسعت عيناها رعبًا وهي تتذكر الصور وما جاء بها، قبل أن تتراجع من أمام حازم الذي ربت هي وجهها بخشونة متعمدة قبل أن يفتح باب الشقة ويغادر المكان.

كان يهبط على السلالم وهو يسترجع ما حدث له اليوم.

فأخيرًا هبطت طائرة حازم الجابري في مطار القاهرة، لقد قضى رحلة من أصعب الرحلات التي مرت به برغم طول ساعة طيرانه الطويلة.

لفترة شك أنه سيفقد قدرته على القيادة وربما هبط بالطائرة هبوطًا اضطراريًا أو تحطمت جراء اصطدامها بالأرض.

أشباح كثيرة راحت تلعب بعقله طوال الرحلة، ولولا أنه استطاع أن يسيطر على عقله وسط كل هذه الهلاوس البصرية والسمعية ما نجا أحد من ركاب الطائرة.

كان يقف أمام المطار في تلك اللحظة وهو يحمل حقيبته وبداخلها كاسيت العديد من الأفلام بجوار العدسات الغريبة، رحلته لم تبدأ بعد ولم تنتهِ هذا ما يشعر به في تلك اللحظة.

كان عليه الانتظار كما الاتفاق، اتجه إلى سيارته، فتح بابها ودلف ليحتل مقعد القيادة، فتح باب سيارته ووجده بجانبه، أطلق حازم زفرة هائلة وكأنه يتخلص من كل الهواء المحبوس في صدره منذ فترة.

مد يده بهدوء بالحقيبة للشخص الذي جلس بجانبه

فقال ذاك الشخص:

- أرجو أن تكون الرحلة موفقة

قال حازم في لهجة عصبية:

- هل من طلبات أخرى؟

- نعم طلب صغير، فلن آخذ منك الحقيبة الآن، بل ستضعها أمانة لدى شخص نعرفه سويا، وانتظر مني مكالمة في أي وقت.

- أظن أنني أديت دوري لهذه اللحظة، ولا أريد الاشتراك في أي شيء آخر.

ابتسم الجالس بجواره وهو يملي عليه أوامر جديدة بمنتهى الحزم، وسط استسلام حازم التام لكلامه، وذلك الشخص بجواره يلعب في ميدالية به نجمة غريبة الشكل أمام عينيه وكأنه ينومه تنويما مغناطيسيًا.

في النهاية قال حازم:

- هذا آخر شيء سأفعله من أجلك.

- سنرى، والآن أرجو أن توصلني في طريقك لأقرب محطة مترو.

أدار حازم موتور سيارته وهو يقول:

- ما حدث لي شيء جنوني ولا أريده أن يتكرر أو أراه مرة أخرى.

ربت الجالس بجواره على يده وهو يقول:

- ستحكي لي بالتفاصيل كل شيء، فما زالت الرحلة بيننا طويلة.

ارتفعت ضحكة من بين شفتيه ولمعت عيناه بصورة مدهشة وهو يتأمل المطار وفي خياله صورة مرعبة، صورة لنيران

تلتهم كل شيء وأي شيء في طريقها، نيران تنبعث من أعمق أعماق الجحيم.

كان حازم يشعر بالخوف حقًا وهو يتطلع لمرافقه وعينيه المتسعتين في تألق مخيف وتلك السلسلة بين يديه تكاد تتألق بالمثل، ويدرك أنه في تلك اللحظة قد بدأ قصة لم تنتهِ بسهوله قطّ.

عكست المرآة صورة الجالس بجوار حازم لنرى أنه عماد.

عماد الخولي كما لم نعرفه من قبل

أطلق حازم زفرة حارة وهو يقف أمام باب عمارة غادة، تطلع حوله يمينًا ويسارًا وهو يتجه إلى سيارة غادة، مد يده ليفتح باب السيارة عندما وجدت يدا تربت على كتفه وشخص يقول بصوت خشن:

- مهمتك انتهت لهنا؟

تطلع حازم للشخص الذي يقف في تلك اللحظة أمامه وهو يحاول أن يتذكر هل رآه من قبل أم لا، فلم يتذكر فقال في لهجة جافة تحمل شيء من التوتر:

- من أنت؟ ماذا تريد؟

قال الشخص في غموض:

- أنا سعد، سعد خميس، صديق مشترك لأحد أصدقائك.

مد سعد خميس يده بهاتف محمول إلى حازم وهو يستطرد:

سيكلمك.

وضع حازم التليفون على أذنه فجاءت عبارة واضحة إلى أذنه من شخص حفظ صوته في مدة قليلة وهو يقول:

- سلم له مفاتيح السيارة، ومفاتيح شقة غادة، الآن.

استرد سعد خميس التليفون ووضعه في جيبه وهو يمد يده الحرة ليتلقى المفاتيح من يد حازم، وبعد لحظات كان سعد خميس على مقعد السائق وهو يقول في صوت به رنة سخرية:

- أتريد أن أوصلك إلى أي مكان يا كابتن؟

ثم انطلق بالسيارة وهو يطلق ضحكة عالية وسط نظرات حازم الغاضبة.

ضغط حازم على شفتيه بغيظ وعقله يفكر في خطة مجنونة وهو يتمتم لنفسه:

- لنرى من سيفوز في النهاية.

* * * * *

الوقت

عام ١٠٧٠ ميلادية

٤٦٣ هـ

القاهرة، ليلاً

نحن في حكم المستنصر، الخليفة الفاطمي الخامس

القاهرة صامتة، خراب تراه في كل مكان حولك، النيل وقد قل ماؤه لدرجة مفزعة وانتشرت الطحالب الخضراء العفنة على وجه النيل، الماء رائحته مميتة ونتنة، غلي الماء لا يفيد فالرائحة مستمرة بوحشية والطعم شديد البشاعة.

قصر الخليفة المستنصر وقد أفرغ من الحرس تقريبًا، أبواب بيوت كثيرة مفتوحة ورائحة الموت تنتشر من داخلها.

قل نباح الكلاب وندر، بل لا أصل لكلب واحد أو قطة في شوارع القاهرة الخربة في ذاك الوقت.

إننا في سنين المجاعة، تلك السنين التي أكلت فيها الناس القطط والكلاب حتى وصل أن أصبح للكلب والقط سعر، إننا في سنوات الموت والمجاعة حيث تخاف على نفسك في المشي وحيدًا في شوارع القاهرة فأنت معرض للخطف في أي لحظة، ليس بغرض السرقة، بل بغرض آخر أشد فظاعة

فأنت إذ وقعت في يد أحدهم من سكان القاهرة الجوعى فأنت عرضة للهلاك لتتحول بغتة إلى طعام مشوي يتلذذون بتقطيع أوصالك والتهامك بمنتهى النهم.

مقولة الجوع كافر لم تأت من فراغ.

هنا وفي ذاك الليل شديد السواد الجوع كافر ومميت، احترس وأنت تنظر حولك وسط الخرائب فقد يكون هناك من يتربص بك ليصطادك وانظر إلى أعلى البيوت وأنت تمر فقد يكون هناك من يعد خطافه ليغرزه في رقبتك ويسحبك لأعلى البيت ليقدمك وجبة لأطفاله، هذا لو لم يكن قد أكل هو أطفاله بعد أو باعهم نظير رغيف عيش، اليوم يبلغ ثمن رغيف الخبز ألف دينار.

لا تسبق الأحداث وتسأل ما الذي جاء بنا إلى هذه الحقبة المفزعة من تاريخ مصر حيث لا يأمن أحد أحدًا، حيث الموت في كل مكان والقتل مستباح، وحيث المستنصر ضعيفًا قوته اليومي رغيف ليس أكثر وقد باع كل شيء حتى حلى زوجاته وجواريه، هذا في بيت الخليفة فما بالك في بيوت عامة الشعب.

لنقف قليلًا ونرى ذاك الشخص المتسلل إلى ذلك القصر المتاخم لحدود القاهرة، قطع ذاك الشخص مشوارًا طويلًا حتى يصل بحمله إلى هنا، كان يبدو عليه الإجهاد والتعب

وتظن أنه سيسقط في أي لحظة فاقدًا الوعي، أخيرًا باب القصر أمامه ومقبض الباب تحت يده، يدب المقبض على الباب عدة مرات، فيتردد صدى الصوت في ذاك الهدوء المميت مفزعًا.

يجفل وهو يتلفت حوله حتى فتحت كوة في الباب أخيرًا وأطلت من ورائها عينان سوداوان تلمعان، وجاء صوت غليظ متسائلًا من خلف الباب:

- ماذا تريد؟ انصرف.

أغلقت الكوة والشخص الآخر يصرخ:

- أنا حمدان الوهيمي معي أمانة للكبير، معي أمانة للكبير.

سمع صوت الباب يفتح ويطل من خلفه جسد شخص شديد الطول، أسود اللون، تشعر بأنه قطعة من هذا الليل شديد السواد، قال الشخص بنفس هذا الصوت الغليظ القوي

- ادخل، لقد تأخرت كثيرًا، هيا تحرك، إنه في انتظارك منذ أمس.

كان هناك هدوء يسيطر على القصر من الداخل، مشعل صغير يحمله ذلك الشخص الأسود ويتحرك خلفه حمدان وهو يحمل ذاك الشوال على كتفه بصعوبة بالغة.

كان حمدان يحاول أن يبتلع ريقه فيجد حلقه جافًا ملتهبًا، لقد جاء من مشوار بعيد حيث أرسله سعده بهذه الأمانة إلى الكبير، وحذره مئات المرات أن يفقدها وإلا الهلاك له ولأهل بيته جميعا.

كان داخل بهو الكبير في تلك اللحظة، المشاعل قليلة، لكن الإضاءة كافية ليستطلع البهو حوله، لا أحد غيره هنا، قال مرافقه وهو يضغط على كتفه ليجلس في مكانه:

- لا تتحرك سأخبره بحضورك، إياك أن تتحرك خطوة واحدة.

كان صوت الرجل كافيًا لزرع الخوف بداخله فما بالك بهيئته المرعبة التي تشعرك أنك في حضرة شيطان.

ظلت عينا حمدان تتجولان في المكان تستطلعانه لا تتوقف على شيء حتى تتحرك لآخر.

من الواضح أنه برغم كل هذا القحط والفزع والموت في القاهرة ولكن هذا القصر لم يمس، وأهله لم يمسهم ضر، استرجع حمدان في رأسه مئات المخاطر التي كادت أن تهلكه في رحلته لو فكر فيها فقط، وحمد الله أنه أخيرًا وصل بخير لهنا لقد جاء مع سعده من قبل عدة مرات كمرافق له لهنا أيام الرخاء ولم يكن يفهم ما الذي يربط سعده بهذا الكبير حقًا، إنه لم يشاهد الكبير ولا مرة في السابق برغم حضوره عدة مرات

فلم يكن مسموحًا له بهذا، اليوم سيراه لقد سمع الكثير من الحكايات حوله ولم يفهمها.

قطع تفكيره صوت خطوات تدخل إلى المكان تأتي من خلفه، لم يدر رأسه وظل ناظرًا للأمام، وقلبه يرتجف بشدة، أخيرًا شعر بتلك اليد توضع على كتفه من الخلف، شعر وكأن هناك جبلًا يهبط بيده على كتفه، أراد أن يدير وجهه ولكن اليد رفعت بسرعة ومر من جانبه الكبير، لقد عرف حقًا لماذا يسمونه بهذا الاسم، فالذي مرّ من أمامه منذ وهلة وأخذ طريقه إلى مجلسه على بعد خطوات من حمدان كان أقرب لفيل ضخم منه لإنسان عادي.

لم ير حمدان من قبل رجلًا في هذا الحجم، مستحيل!

حاول أن يبلع حمدان دهشته وصوت الكبير يخرج من بين طبقات الشحم الرهيبة مكتومًا وكأنه خارج من أعماق بئر سحيق

- أهلا بك يا حمدان، أظنك جائعًا، المشوار كان طويلًا عليك أعلم، ولكن دخول القاهرة هذه الأيام أقل خطرًا من الخروج منها.

قال حمدان بصوت ضعيف:

- يكفيني رؤية سعدي وحفاوته.

قال الكبير وهو يبتسم فتضيع ابتسامته وسط ملامح وجهه الضخم:

- الطعام للضيف وضاعفوا كمية اللحم فهو يبدو هزيلا جدًا.

- إرهاق الرحلة وطولها يا مولاي.

- بلى، بلى، تستطيع أن تفك حملك عن ظهرك وتضعه جانبًا الآن، فأنت وصلت لوجهتك.

بعد قليل أتت صحاف الأكل، كانت رائحة اللحم تصل إلى أنف حمدان وهم يضعونه فيسمع صوت معدته وهو يحاول أن يزدرد ريقه، انكب حمدان على الأكل بنهم وهو يرفع عينيه من وقت للآخر لمكان الكبير فيلمح ابتسامته الخفيفة وسط وجهه الضخم، عندما انتهى أخيرًا حمدان من الطعام رفعت الصحاف من أمامه واقترب ذاك الشخص الذي فتح له الباب ليحمل الجوال الذي كان يحمله حمدان على ظهره من قبل واقترب من الكبير وفتحه لينظر الكبير بداخله وارتفعت ضحكة الكبير ولمعت عيناه وهو يقول:

- اكرموا الضيف وخذوه ليرتاح قليلا وينام فهو تعب أكيد من طول السفر.

كان هذا أمر لحمدان ليقف ويغادر القاعة وسط حارسين مدججين بالسلاح.

ممرات عديدة داخل القصر حتى أوصله الحارسان إلى باب وفتحوه أمامه وأحدهم يقول له بحزم:

- ادخل لتنام.

امتثل حمدان للأمر ودلف للحجرة، كانت الحجرة واسعة وفي وسطها سرير مفروش ألقى بجسده عليه وذهب في النوم وهو يشعر بالشبع والارتواء.

لم يعرف حمدان كم من الوقت نام ولكنه صحا على وجع رهيب في بطنه وكأن هناك سكاكين تمزق معدته، تألم حمدان بشدة وهو يغادر السرير وينظر حوله في الغرفة، لا بدّ أن معدته لم تعتد اللحم بعد فهو لم يذقه منذ شهور.

أي ألم هذا الذي يكاد يجعله يصرخ كالنساء في الولادة، نظر حوله فوجد أن الليل ما زال لم ينقض بعد.

لقد شعر أنه نام لساعات فكيف ما زال الليل مستمرًا، كلاّ بالتأكيد إنه لم ينم كثيرًا ولكنه توهم ذلك.

غادر الحجرة بخطوات وئيدة متثاقلة وهو يمسك بطنه، كان يريد أن يذهب للحمام، الألم يزداد كل ثانية.

ممرات القصر هادئة ومشاعل قليلة تضيء الممرات، يقطع الممرات وهو يأمل أن يرى أحدًا يدله عن مكان ليقضي حاجاته.

لكن وكأن البشر اختفوا من الممرات والقصر، لا يريد أن يسبب حرجًا لسعده بفعلته هذه فراح يتسلل حاسبًا حساب كل خطوة يخطوها، لم يعرف متى وصلت لأذنيه تلك الجلبة.

كانت تصدر من إحدى قاعات القصر، اقترب ببطء وجد باب القاعة مواربًا، فالقى بنظره لداخل القاعة وليته ما فعل، فقد ارتجف جسده بعنف وتلاشت آلام معدته، فما يراه كان بشعًا لأقصى صورة.

صورة لم يتخيلها قطّ في أبشع كوابيسه، فأمامه مباشرة وعلى بعد خطوات قليلة كان الكبير يجلس وحوله عدد من الحراس وهناك عدة أعمدة صغيرة علق فيها عدسات بطريقة دائرية، وكانت هناك أشعة تتجمع من خلال العدسات وتلقى على حوض به ماء في منتصف القاعة، لا يعرف من أين تستمد تلك العدسات نورها، فهو يعرف تلك العدسات فقد حملها على ظهره طوال مشواره إلى هنا.

ليس هذا المخيف في الأمر، ولكن وسط الحوض كان هناك رجل وطفلة يحتضنان بعض بشدة والألم الرهيب يظهر على وجهيهما المحروق، وقد شوي لحمهما وانتشرت رائحة الشواء في المكان، بينما تحول الماء أسفلهما لمرق لهذا اللحم المشوي.

كان الحرس يمدون أواني يغرفون منها هذا المرق ويقدمونه للكبير؛ فيتجرعه في بساطة وسط ضحكاته العجيبة، ما هذا الرعب، أي شيطان جاء به إلى هنا، اللعنة!

منظر الجثتين المشويتين لن يغادر ذهنه طوال العمر هذا لو تبقى له عمر، كان داخل الغرفة أيضا عدة جوارى يبدو عليهن وكأنهن في حالة من السكر، وهن يترنحن يمينًا ويسارًا وضحكاتهن تجلجل في المكان بينما الكبير يلقي كلمات تصل إلى أذن حمدان فلا يفهمها وكأنها تخرج من بين شفتي شيطان.

هذا الكبير يمارس سحرًا شيطانيًا رهيبًا، هذا إذا لم يكن هو الشيطان نفسه وسط جحيمه الخاص.

زاد ألم معدة حمدان مرة أخرى وهو يتصور أن اللحم الذي أكل منه كان لحم بشري.

حاول أن يفرغ معدته وهو يبتعد عن القاعة ويهرول عبر ممرات القصر ولكنه لم يفلح والألم يزداد عنفًا.

لم يعرف كيف وصل إلى مطبخ القصر لتواجهه حقيقة أخرى وهو ينظر إلى تلك القدور حوله في كل مكان وتلك الرائحة النتنة الرهيبة التي تنبعث من أحد القدور.

رفع الغطاء عن أحد القدور في وجل، وفزع وهو يتراجع

للخلف فبالداخل كان هناك لحم آدميين في الملح وهناك أجزاء من أذرع وسيقان بشرية، اللعنة لقد أتى بقدميه إلى بيت الشيطان نفسه.

راح الخوف يتعاظم بداخله وهو يتطلع حوله للقدور وينظر داخلها فيفاجأ باللحم البشري في كل مكان حوله، أي لعنة ستصيبه الآن، وأي جحيم ينتظره.

فتح أحد الدواليب خلفه ليفاجأ مرة أخرى بجماجم بشرية بلا عدد ملقاة بداخله.

ضاعت الرؤية من أمام عينيه وشعر بجسده يتراخى، وعاد يتساءل هل نام ساعات قليلة أم أنه نام يومًا كاملًا وأن الطعام الذي قدم له قد خدر له.

إلى أين يتجه راح السؤال يتردد في ذهنه عدة مرات بلا إجابة، غادر المطبخ وهو يحاول أن يصل إلى أي مكان يلقيه خارج القصر، يحاول أن يتذكر ممرات القصر فهو قد أتى من قبل مؤكد يعرف طريق الخروج، ولكن عقله والصور البشعة التي راحت تتلاحق داخل رأسه جعلته مشتت الذهن فاقد الإدراك لحقيقة المكان.

فجأة سمع تلك الصرخات الرهيبة تشق هدوء الليل، صرخات أشخاص يقتلون أو تقطع أوصالهم.

تراجع وهو يتصور ما يحدث في تلك اللحظة ولكن كان هناك صوت خيل أيضا راح صهيلها يعلو.

رأى انعكاس أضواء المشاعل تأتي من الخارج، تعلق بأحد الحبال ورفع جسده الهزيل لينظر من كوة لخارج القصر، أخيرًا رأى ما يحدث، هناك جنود يهاجمون القصر.

لا بدّ أنهم جنود الخليفة، مؤكد قد وصلت لهم رائحة هذا المكان العفن وسيرته الوحشية، ظل في مكانه يتابع القتال الذي وصل إلى حديقة القصر حتى رأى الجنود يدخلون للداخل لا يعرف كيف قفز من مكانه وراح يجري وسط ممرات القصر، كان الحراس من القصر يشهرون أسلحتهم ويتجهون للقتال، بينما جواري القصر يترنحن في الممرات، وجد نفسه يدخل إلى تلك القاعة الرهيبة التى رأى فيها الكبير منذ قليل، كانت الجثتان كما هما بينما اختفى الجميع، العدسات الدائرية في مكانها وهناك أشعة تنطلق منها لتواصل شوي اللحم البشري، لم يعرف حمدان كيف راح يهجم على العدسات ويخلعها من مكانها على الأعمدة، بمجرد أن خلع أول عدسة اختفت الأشعة، سمع حمدان صوتًا واهنًا يخرج من بين شفتي الرجل المشوي، هل ما زال حيًا وسط كل هذا ؟! لكن حمدان لم يلتفت وهو يجمع باقي العدسات ويدسها في مفرش أمامه ويلفها ويولى هاربًا.

وسط هذا القتال الرهيب الحادث لم ينتبه أحد له وهو يفر من ذلك القصر الملعون تاركا وراءه جنود الخليفة يطاردون أصحاب القصر ويقتلون أصحابه.

لم ينته الأمر بحمدان لهنا فقد كان أمامه الآن طريق يجب أن يسلكه، طريق لم يحدده بعد ولم يعرف وجهته، ولكنه يدرك أنه يحمل كنزًا شيطانيًا معه.

كنز سلبه من الشيطان ذاته.

وحتمًا سيجد المئات يطاردونه.

فكان عليه أن يخفيه الآن ويختفي عن الأنظار وإلا هلك.

وراحت الرؤى السوداء تتصاعد بداخله لتبتلع كيانه كله وهو يواصل الفرار وسط الخراب والظلام الذي يسيطر على القاهرة.

لا داعي للسؤال التقليدي ما دخل حمدان الوهيمي والخليفة المستنصر بحكايتنا؟

فهذه أسئلة لا نملك إجابات لها الآن.

* * * * *

منذ فترة ليست ببعيدة شهران أو أكثر من وقتنا الحالي.

عماد غارق في غيبوبة، وآخر ما يتذكره الدماء التي تسيل من

جسده وتلك الهلاوس السمعية والبصرية التي طاردته لفترة قبل أن يسود الظلام، يشعر بجسده تدب فيه الحياة مرة أخرى، برغم الضعف الذي يسيطر عليه ولكنه يشعر بأنه لا يزال حيًا، شيء يقول له إنه لم يغادر الحياة بعد وما زال في عمره بقية.

يقوم في ضعف يستند على الصندوق أسفله، يشعر بذكريات ليست له تضرب عقله، ذكريات تشبه كوابيس قديمة، يطردها من ذهنه وهو يستند على الحائط بجواره ويقف، يتطلع للظلام حوله في خوف وترقب، ينتبه أنه في الاستوديو، الدماء تغرق ملابسه، يمد يده ليتحسس مكان الجرح بخوف، يشعر بجلده سليمًا أسفل يده، يمد يده مرة أخرى ويعاود تحسس مكان الجرح، لا شيء، مستحيل! هل كان يحلم؟

ملمس الدماء على ملابسه تقول إنه لم يكن يحلم، كيف تم شفاؤه؟ وكيف نجا من الموت؟

خاطر غريب يضرب عقله مرة أخرى، أسماء لم يعرفها تتردد في ذهنه، العطار البيدقي حفيده، ابنه، حمدان، الكبير، إيفان سالمون، فرنسا، استوديو قديم، جده.

هلاوس مجنونة متداخلة تحتاج إلى تركيز لاستعادة ترتيبها الحقيقي ومعرفة سببها، يشعر بأن هناك عدة أشخاص يتحكمون في رأسه في تلك اللحظة، الذي لم يفهمه هو لماذا

هبط لأسفل ليعود بالشمعدان ويشعل شموعه ويفتح الصندوق الضخم الذي ارتمى عليه من قبل ليستخرج الصور بالداخل، شيء بداخله يحركه ليفعل هذا، حاول استعادة أنفاسه وهو يعيد رص الصور بجوار بعض وفحصها مرة أخرى، مستحيل!

ليست هذه الصور التي رآها لأول مرة.

إنهم نفس الأشخاص تقريبًا، لكن الصور نفسها تختلف إنها صور مريعة تنقل أحداث من الخيال، والعبث أن تكون حقيقة.

لقد وجد تاريخًا خلف كل صورة وكتابة.

إن معظمها يعود لما قبل اختفاء جده بسنوات هذا مؤكد، من هؤلاء الناس؟!

كل صورة مكتوب خلفها اسم صاحبها وكأن جده تعمد ذلك، التاريخ والوقت واسم صاحب الصورة.

أي جحيم فتحه على نفسه بتلك الصور التي أمامه، من الأفضل أن يتخلص منها، مؤكد أنها لو وقعت في يد شخص سيستغلها أسوأ استغلال، أسوأ استغلال.

دارت الجملة في ذهنه عدة مرات ووجد ذاك الخاطر العجيب والفكرة المجنونة تتصاعد بداخله بعنف يحاول أن يرفضها ولكنها تواصل إلحاحها بلا توقف، دماؤه!، دماؤه هي من

أظهرت هذه الصور له على حقيقتها وغيرت محتواها، دماؤه بدت كسائل تحميض خاص لها، أكان جده يعرف هذا؟ ألهذا السبب لم يمت! لكي ينتقم.

مؤكد أن أحد أصحاب هذه الصور هو السبب في اختفاء جده، مؤكد.

وراحت الفكرة تتصاعد مرة أخرى بداخله، وبدأت خيوط اللعبة تكتمل شيئا فشيئا.

بلى عليه أن يتحرك سريعًا ولكن من أين يبدأ، ثلاث صور تحديدًا اجتمع فيها ثلاث أشخاص قرر أن يبدأ بهم، أشرف جلال، غادة عبد العليم، حازم الجابري..

هذه الممثل غادة يعرفها حقًا فلقد شاهد لها عدة أفلام من قبل، راح يجمع كل الصور التي تظهر فيها غادة وبداخله يتساءل أليس من الممكن أن تكون هذه الصور من فيلم سينما، أي فيلم هذا الذي تتصور به هذه المشاهد هنا في مصر، يشعر بهم يلعبون بعقله، بلى أن جسده قد سكنته الشياطين، أي سحر مجنون هذا الذي نجاه ليرى أمامه ما يراه الآن، وبهذه الطريقة.. ووجد في قاع الصندوق تلك الميدالية غريبة الشكل ملفوفة في ورق مكتوب عليها لتحفظك منهم، السحر!

عليه أن يهدأ ليفكر جيدًا، وراح مع ترتيب الصور يرى المشهد وكأنه حدث له هو وليس لشخص آخر، وكأن أمامه شاشة سينما راحت تعرض كل شيء ومنذ البداية.

جده يتحرك أمامه في تلك الفيلا، يحمل كاميرا غريبة الشكل على كتفه، وبين يديه كاميرا عادية يلتقط بها عدة صور للحضور، واضح أنه في حفلة يحضرها نجوم المجتمع، حمام سباحة يجلس شخص ضخم الجثة على مقعد بجوار الحمام وبجواره عدة كئوس من الخمر، بينما يمرح بجواره وحوله حشد من الفتيات الجميلات اللاتي يرتدين ملابس تظهر أكثر مما تخفي من أجسادهن، بعض القبلات تتبادل من حين لآخر، جده يلتقط الصور دون حماس بالكاميرا العادية، يعدل وضع الكاميرا العادية على كتفه، ويمسك بالأخرى ليمررها على الوجوه حوله، عينه تلتقط شيء ما، فيلتقط صورة، ثم يعود ليمرر عدسة الكاميرا على وجوه أخرى، يقف خلف حمام السباحة وخلف الرجل الضخم ويلتقط عدة صور لحمام السباح ومياهه لم يكن هناك أحد يعوم فقط مياه، ثم يوجه الكاميرا لمكان آخر ولوجه آخر من الحضور حتى يتوقف على وجه معين فيعاود الضغط على زر التقاط الصورة.

مؤكد أنه يلتقط الصور بهذه الكاميرا عجيبة الشكل بطريقة مدروسة، فهو يلتقط القليل بها، وكأنه يخاف على شريط

الفيلم بداخلها حتى لا ينفد.

تطلع عماد لصورة أمامه تمثل حمام السباحة وما به فعرف لماذا كان يلتقط جده صور للحمام وهو خال من السباحين، اللعنة أن تلك الآلة تخزن صورًا من الماضي أو صورا من المستقبل للشر فقط، أو بالأصح للأشخاص الذين يرتكبون أفعال شيطانية وإلا لماذا يلتقط جده صورًا للفراغ..

عادت الشاشة السينمائية تلمع أمام عيني عماد مرة أخرى في الفراغ، هذه المرة الفيلا ولكن عدد المدعوين أقل، أشخاص حرص جده على تصويره من قبل، ذاك الشخص يجلس على حمام السباحة، بينما هناك عدد من الأشخاص داخل الحمام وقد تخلصوا من ملابسهم جميعًا، نساء ورجال، وسط الحمام كانت هناك لوح خشبي عليه فتاة عارية تماما وجسدها ملطخ بوشوم عجيبة الشكل وعلى جوانب الحمام العديد من الشموع والرسومات الغريبة، نجوم سداسية وخماسية، وسكاكين غريبة الشكل، شخص يقف فوق رأسهم يمسك كتاب ضخم سميك ويردد كلمات غير مفهومه تبدو وكأنها تأتي من قاع الجحيم، يقشعر جسد عماد وهو يرى ما يحدث أمامه. حتى لو كانت هلاوس لن تكون بتلك الدقة من هذا الشخص الذي يلقي التعاويذ أنه رآه من قبل مؤكد،ومؤكد أيضا أن ما يلقيه على الذين يعومون أسفل قدميه تعاويذ

مميته، فقد راحت صرخات فجأة تتعالى من بين شفاه الجميع وبدت مياه حمام السباحة وكأنها تغلي، ولم تمر لحظات حتى أنسحب الجميع إلى جوانب الحمام ليمسك كل منهم سكينا وهم يقتربون من كل الجهات من الفتاة على اللوح الخشبي وارتفعت السكاكين عالية لتهبط على جسد الفتاة وانبثقت نافورة الدماء، بل نوافير من الدماء وسط صرخات رهيبة تخرج من الشفاه، الغريب أن الفتاة التي انهالوا عليها بالسكاكين لم تنطق بحرف أو خرج من بين شفتيها صرخة، كل ما حدث هو صوت حشرجة خرجت من حنجرتها قبل أن تغادر الحياة.

ما حدث بعدها هو ما جعل جسد عماد يرتجف بلا حدود فقد بدأوا في تمزيق لحم الفتاة بالسكاكين وراحوا يأكلونه نيئ، أي جحيم هذا الذي يراه عماد الآن، وتعلقت عين عماد على ثلاث وجوه عرفها وحفظ أشكالها جيدا، نعم ليبدأ بهم هم الثلاثة فقد كانوا أشد الموجودين نهمًا للحم البشري، أي غيلان هؤلاء، أي غيلان بشرية؟!

راحت تختفي الصورة السينمائية من أمام عيني عماد كما ظهرت فجأة.. وارتجف جسده بشدة، هناك قوى ما تريده أن يرى ما رآه..

أعاد ترتيب الصور مرة أخرى، وبداخله شيء يقول إن عليه

أن يقلب هذا الستوديو رأسًا على عقب فمؤكد أن هناك أشياء أخرى تركها جده خلفه لتبين له كل شيء، لا بدّ.

وراح أمل شرير يغزل خيوطه داخل عقل عماد ويعيد ترتيب الخطة وبطريقة جهنمية، وهو يتذكر أين رأى تلك الكاميرا من قبل، كاميرا الشيطان.

* * * * *

(٧)

الحياة تقتل أحيانًا أكثر الأشياء نبلًا في حياتنا، التفكير في الصواب والخطأ أحيانا يكون حماقة.

سيرفض كل تلك الموروثات الأخلاقية التي زرعت فيه من قبل وتوارثتها الأجيال.

إنه يتعامل مع غيلان بشرية فكيف عليه أن يستخدم المنطق أو العقل أو الأخلاق.

سيرمي كل هذا وراء ظهره ليواجه ما يواجهه.

كان قد مرّ أسبوع كامل منذ رأى عماد تلك الصور الشيطانية، سجلها بترتيب معين وجهز عدة ألبومات وهو يختار فارق الوقت بين التقاط صورة وأخرى حتى يصل إلى مبتغاه، ليبدأ بالأحدث زمنًا.

يشعر وكأن هناك ألف شخصية تسكن عقله، كل شخصية منها تحاول أن تزيح الأخرى عن مكانها لتحتله، في نفس الوقت كان يدرك أنه عماد الخولي، وهذا استوديو جده وهو يحتاج للطعام والشراب ومكان يصلح ليبدأ منه خطته وأشخاص يساعدونه فهو لن يستطيع أن ينفذ لوحده، لقد فتش الاستوديو عشرات المرات حتى الآن، وجد تلك الكاميرا المدهشة، ولكن لم يجد بداخلها أي فيلم، حاول تجريبها

عندما خرج منذ يومين بأن أشترى أحد الأفلام ولكنها لم تعمل، شيء في الأفلام التي اشتراها لا يناسب طبيعة تلك الكاميرا الملعونة، شيء غامض، بالطبع لن يعطيها لأحد ليفحصها، شيء كان يحذره من هذا بشدة، اتصل بفتحي صديقه واقترض مبلغ من المال يعينه لفترة، لم يعد يخرج ليلا من الأستوديو، يخرج مع أول ضوء فجر أحيانا، يتأمل المكان حوله بترقب قلق أن يعود أحد ليهاجمه، مؤكد أن من هاجمه في السابق يظن أنه مات.

الكوابيس تطارده بعنف يجد نفسه في أزمان مختلفة وحوادث مختلفة وأنهار من الدماء لا تتوقف، قوة ما تريه أحداث لم يعيشه وكأنها تقوي عزيمته.

مفكرة صغيرة وجدها في قاع أحد الصناديق المهملة في الغرفة السفلية منذ يومين، مفكرة كانت مكتوبة على عجالة وبخط مرتعش، أنها عبارة عن رسالة طويلة من جده له هو تحديدًا، لم يعرف كيف عرف جده أنه من سيعثر على تلك الرسالة، لا يهم فليس هذا هو اللغز الوحيد للآن الذي يقابله.

ها هو الآن يعيد قراءتها للمرة العشرين على الأقل

«عزيزي وابني عماد مؤكد إذ وقعت في يدك هذه المفكرة فهذا دليل على أنك قلبت الاستوديو بحثًا عن شيء أنت تعرفه وأنا أعرفه أو سوف تعرفه قريبًا، أدرك أن أمك لن تكون

لديها القدرة على البحث ورائي عن يوميات يكتبها عجوز مخرف كما كان يظن أبوك، هذا العجوز المخرف هو جدك الذي رأى ما لم يره أحد قبله، عليك أن تحمل السر بعدي، فهذه لعنة أسرتنا التي تناقلت عبر السنين منذ سرق جدك الأكبر الفرعوني عدسات الساحرة الكاهنة الأم من المعبد الشرقي، تاهت العدسات كثيرًا في بحور السنين ولكنها دوما تعود فهذه سر اللعنة التي أطلقتها الساحرة وراء السارق، لا تخف، ولا تفكر أن الأمر بالسهولة التي تظنها، وصول العدسات إليّ لم يكن بطريقة مباشرة وبحثي وراء قصتها استهلك عمري كله، مئات الكتب وسنوات التاريخ، أعرف أن كلامي سيبدو به كثير من الثغرات والأشياء غير المنطقية، لكني سأحكي لك ما أعرفه وما يجب أن تبحث عنه وتجده، وهم سيساعدونك، من هم، أجدادك وأجدادي حمله السر، الموسومين باللعنة.

لنعد إلى زمن بعيد بعض الشيء يا صغيري إلى تلك الفترة التي رأيت فيها العدسات أول مرة، لا أتذكر الزمن تحديدا ولكن لنقل أنني كنت في العاشرة من العمر وقتها، أخرجها أبي من وسط صندوق ضخم قديم كانت ملفوفة بحرص، وقتها كان أبي قد أصابه المرض، وكان رحلته في الحياة على وشك الانتهاء، منحها لي وهو يوصيني ألا أفرط فيها أبدًا، لم أكن أعرف أهميتها بعد،حكى لي عن ساحرة ومعبد وشاب عاشق

يسرق عدسات المعبد انتقاما من الساحرة الأم التي كانت تضحي بحبيبته، لم أفهم جيدًا كنت طفلا وظننت أنه يقص لي حكاية وقتها سلمني أبي لشخص آخر أجنبي فرنسي الجنسية كان يفوق أبي في العمر على ما أتذكر أو يماثله سنًا وكان يعمل مصورًا فوتوغرافيا.

عذرا فالذاكرة تهرب الآن مني، ولا أريد أن أنسى أي تفاصيل قد تفيدك في الحفاظ على ما تبقى من كنزنا، بالطبع هو كنز وأنت ستعلم في يوم ما هذا، كنت فاشلا فلم أحافظ على الكنز مكتمل بل، ليس مهما الآن، المهم أن ذلك الفرنسي واسمه إيفان سالمون علمني كل أسرار التصوير وكان قد ورث المهنة عن أبيه، وعندما أخذت العدسات معي في يوم إلى الاستوديو الخاص به لمعرفة رأيه بشأنها، أثارت شغفه عندما رآها، شيء شيطانية جذبه إليها، ساومني عليها بأشياء كثيرة، رفضت في البداية وظل هو على إصراره حتى تقاسمنها في النهاية.

عذرا أنني بالفعل لم أحافظ على كنزنا وفرطت في نصفه، ولكن ليس أمامي إلا أن أطلب منك أن تستعيد العدسات المتبقية بأي صورة كانت.

العدسات كانت لا تعكس أي ضوء ولا تمرر أي ضوء وهذا أصاب إيفان بالحيرة البالغة ولكن في النهاية قال لي إنه

يعرف حقيقة تلك العدسات فقد حكى له أبي شيئا من قبل عنها وأن في استطاعته أن يجرب ليجعلها عدسات كاميرا، كاميرا سوف يصنعها بنفسه وسيعطيه لي بعد أن يجربها.

بالفعل لمدة ثلاث سنوات عكف إيفان على تصنيع تلك الكاميرا وضبطت العدسات على مقاسها، وجاء وقت الأفلام التي يجب أن تعمل عليها الكاميرا، إيفان يقول لي إن تلك العدسات يلزمها نوع خاص من الأفلام لا يقدر على صنعها سوى صديق له فرنسي، فهذه العدسات تحمل سرًا وسحرًا ويلزمها أفلام تحوي هذا السحر، سنوات مضت بعدها وإيفان يراسل صديقه الفرنسي ويسافر ويعود وأنا أعمل في الاستوديو، ولم يجد جديد، كنت قد نسيت سر العدسات والكاميرا وما شابها، حتى عاد يوما وهو يحمل الأفلام معه، جربها على الكاميرا بالفعل والتقط عدة صور، وعند التحميض فوجئ بأن كل الصور التي التقطها طبيعية تماما كأي كاميرا أخرى، فلماذا كان تعب العشر سنوات، جن جنونه وكاد يحطم كل شيء. حتى جاءت لنا تلك الفتاة في الاستوديو وطلبت صورة لها.

كان في العادي نلتقط الصورة بالكاميرات الموجودة، ولكن شيئًا جعل إيفان يلتقط لها صورة أخرى بالكاميرا المعدلة بالعدسات الغريبة، لمع شيء وقتها في عينيّ إيفان، واتسعتا

بدرجة ملحوظة وهو يعيد التحديق في الفتاة، انصرفت الفتاة وعدها أن تستلم الصور بعد عشرين يوم، لا تنس أننا في زمن قديم وبرغم أن إيفان كان يستخدم أحدث ما توصلت له فرنسا من الكاميرات ولكن التحميض كان يأخذ الكثير من الوقت، لا يهم.

المهم ما قاله إيفان بعد انصراف الفتاة لقد قال لي إن تلك الفتاة تتعامل مع الشيطان ذاته، فقد رآها وهو يلتقط الصورة تحيط بها عدة شياطين مؤكد شياطين فتلك المخلوقات التي رآها لا تقترب للبشر بصلة هو متأكد، بالطبع قلت له إنه واهم ومجنون، أكد لي وقتها إن الفتاة تباشر أعمال السحر الأسود وأنها تتعامل مع الجن والعفاريت، ضحكت بشدة وقتها فكيف لفرنسي أن يصدق في الجن والعفاريت ويحاول إقناعي بوجودها، إلى أين وصلت بحديثي معك عزيزي عماد، آسف يا صغيري، فالذاكرة وكأن هناك فأر يقرضها لتفر.

بلى الفتاة عند تحميض صورتها، ظهرت الصور طبيعية لا شيء بها، كل الصور الملتقطة بالكاميرتين، لا فرق يذكر إلا درجة الإضاءة، ولكن إيفان ثار دون سبب منطقي وهو يحاول إقناعي أن هذا ليس حقيقيًا وأنه متأكد من اللقطة التي أخذها للفتاة كانت أنيابها فيها بارزة وهناك أثار دماء على شفتيها، ضحكت بشدة وقلت له بهذه الصورة تكون

الفتاة هي أمنا الغولة التي تحكي لنا عنها الجدات في الحواديت.

سخريتي منه أثارته أكثر وأكثر وجعلته مستعدًا ليثبت وجهة نظره أن يقتلني شخصيًا.

يقتلني! يجب أن أقرأ كل ما كتبته لك حتى لا أعيد كتابته مرة أخرى عذرًا يا عزيزي.».

أغلق عماد المفكرة في تلك اللحظة وهو يسترجع في عقله كل حديث جده ويعدله على الخطة التي رسمها، وكان عليه أن يخرج الآن ليبدأ أول مراحلها، ألبوم من الصور كتب على غلافه الخارجي أشرف جلال، حمله معه وهو يهم بالخروج بعد أن وضع المفكرة في مكانها السابق وفي عينيه انطلقت لمعة غريبة تحمل من الشرّ الكثير.

* * * * *

الوقت ليل، قبل أسبوع من الوقت الحاضر.

السماء ملبدة بالغيوم، هناك رياح باردة قارصة، تقف غادة في شرفة شقتها في الدور العاشر تتطلع للسماء فوقها، لا تشعر بالبرودة التي تضرب جسدها وهي تردي غلالة شفافة.

قلبها مشتعل، ومشاعرها شديدة الاضطراب، لقد ظهر لها كابوس من الماضي، كابوس أعاد لها ذكريات كثيرة حاولت أن

تنساها برغم أنها كانت تمارسها على فترات متباعدة، فمن ذاق طعم اللحم البشري تحت قبضة الشيطان وسط سحر الكبير من الصعب أن يستلذ غيره مهما حاول.

شعورها بأن هناك كائن ما يهددها ويملي عليها أوامره شعور جعلها تصاب بالغيظ والاشمئزاز من نفسها، فهي لم تكن في يوم تحت رحمة أحدهم، حتى عندما كانت هناك في بيت الكبير، كانت لها شخصيتها الخاصة، وتلك الرهبة التي تحاول زرعها في أجساد الآخرين، الآن تشعر بالخوف، الخوف أن تفقد كل أحلامها وما وصلت إليه، مثلها لا يعود مرة أخرى للخلف، دوما هناك الأمام ينتظرها، الأمام الذي يطمع فيه الكثيرون ولا يصلون إليه قطّ مهما فعلوا، هي فعلتها وتربعت على عرش السينما لسنوات، هي الممثلة المحبوبة للشعب، هي، هي، راحت أفكار كثيرة تضرب رأسها بشدة والهواء البارد يضرب وجهها وعلى عكس المتوقع يزيدها اشتعالًا.

لماذا عاد حازم ليظهر في حياتها مرة أخرى فقد انفصلا منذ سنوات عديدة، بلى كانت عشيقة له، ولكن طبعها الملول جعلها لا تتحمله برغم أنه كان ينفذ كل طلباتها، والأكثر أنه كان شريكا لها في تلك الجمعية السرية التي يترأسها الكبير، لا تعرف متى انضمت لتلك الجمعية تحديدًا، حازم من أخذها من يدها في البداية، فكرة الخلود والأماني سهلة التحقيق

كانت فكرة تجعلها ترضخ لكل تصرفات حازم وقتها، لا تعلم كم مرة تحديدًا ذهبت لهناك، أيام كثيرة كانت الحفلة عادية تضم نخبة من المجتمع، وفي الأوقات الخاصة كانت هناك حفلة الساحر، حيث كل شيء مباح، القتل نفسه مباح، اختيار الفريسة لم يكن سهلا، فهناك شروط يضعها الكبير لمن يتذوقون لحمه، هناك تعاويذ تلقى وأبواب شيطانية تفتح وعالم غريب تدخله وأنت تعلم أن هناك نهاية جهنمية تنتظرك ولكنك لا تتراجع.

الآن تضعف، الشخص الذي ظهر فجأة من العدم ومعه تلك الصور الجهنمية يحطم كل شيء؛ لذا رضخت له، ما علاقته بحازم سؤال لم تجد له إجابة حتى هذه اللحظة، بداخلها كانت الشياطين تتصارع، هي تحتفظ بحقيبة خاصة أتى بها حازم لها وهددها إلا تفتحها وعليها أن تنتظر، لمتى لا تعلم؟

جاءها الصوت من خلفها فجأة فارتعد جسدها، دارت على عقبيها فرأت عماد يقف مبتسما ابتسامة ذئبية وهو يقول لها:

- جميلتنا ستصاب بالبرد لو استمرت واقفة في الشرفة بتلك الملابس.

جمعت طرفي الروب الشفاف عليها وتطلعت إليه وهي تقول بذهول:

- كيف دخلت؟

ثم ابتسمت ابتسامة سخرية من نفسها وهي تستطرد:

- سؤال غبي؟ بالطبع حازم أعطاك المفاتيح.

- توقعك صحيح. هو هذا.

ضغطت على شفتيها لتمنع صرخة وهي تقول:

- والآن ماذا تريد؟

- حياتك!

تصاعدت الدماء إلى وجهها وتلون بالغيظ وهي تقول ببرودة:

- حياتي؟ أتريد قتلي حقًا؟ مظهرك لا يقول إنك قاتل.

زادت ابتسامته اتساعا وهو يقول في تحدٍ:

- يعجبني ثقتك بنفسك، حاليا لا أريد قتلك بالتأكيد،لكن ربما في المستقبل يحدث ما المانع؟

- أنت شخص مجنون؟

- وهل أنتِ شخص عاقل، أنسيتِ صورك الرائعة؟

- أرجوك كفى سخافة وقل لي لماذا أتيت حقًا.

- ألا تخافين مني؟

- اعتدت ألا أخاف لا شيء يخيفني صدقًا.

- لنرى.

تحرك ناحيته وهو يحرك تلك السلسلة أمام عينيها، فتراجعت بظهرها للخلف وهي تحدق في عينيه المتسعتين وبدأ أحساس من الخوف ينمو بداخلها، ولكنه وقف وأطلق ضحكة عالية وهو يقول ببساطة:

- أين الحقيبة التي تركها حازم؟

بلعت ريقها وأحكمت لف الروب حول جسدها وهي تقول:

- في مكانها في الدولاب، لم أفتح الدولاب ولكن هذا ما قاله حازم.

- إذن هيا لنجلبها، وسيكون لدينا حديث طويل.

- لن يكون بيننا أي حديث بعدها، لن أدفع لك مبلغًا آخر كفى ما أخذته.

- هذه المرة الحديث بيننا لن يكون من أجل المال، بل لشيء آخر، هيا تحركي فقد أصابني الملل من وقوفي وثرثرتنا الفارغة.

وجدت نفسها تطيعه وتتجه لغرفة نومها وهو خلفها يتبعها في هدوء مميت، والسؤال يتردد في ذهنها أي شيطان هذا

ومن أين جاء؟

فتحت الدولاب وجدت الحقيبة حيث قال حازم، مدت يدها وأخرجتها ثم ناولتها له، فتح الحقيبة ونظر بداخلها وابتسم ثم قال وهو يجلس على طرف الفراش:

- الآن أجلسي بجانبي فالحديث الحقيقي بيننا لم يتم بعد.

تطلعت له وظلت واقفة في مكانها، وترددت لثوان وهي ترى تلك النظرة الغريبة في عينيه، نظرة جعلتها تدرك أنها لا تتعامل مع بشري بالتأكيد. فجلست على طرف الفراش وتطلعت إلى شفتيه، وهو يمد يده ليمسك يدها ويعتصرها بشدة، واتسعت عيناها بعد لحظات خوفًا ورعبًا وهو يحدثها في أمر لم يخطر على بالها قطّ، أمر يفتح أبواب من الجحيم عليها، وجفَّت الدماء في عروقها.

* * * * *

منذ أكثر من شهر تقريبا من الآن

ليلا.

عماد يقطع الشوارع إلى وسط البلد، يحمل في يده كيسا بلاستيكيًا أسود اللون، بداخله ألبوم صور.

لقد اتصل بصديقه فتحي ابن شارعه القديم، فتحي كان في

الخامسة والعشرين من العمر تقريبا، لم يكمل تعليمه، دبلوم صنايع يعمل في ورشة لحام، جمعهما الشارع القديم منذ زمن، يلتقيان في أمسيات على المقهى خصوصًا في تلك الفترة التي انتهى منها عماد من الجامعة وكان عاطلًا فيها.

عماد كان يعرف أنه يحتاج لفتحي بشدة وليس شخصًا آخر، فقد مرّ فتحي بتجربة سجن سنتين في قضية ما لا مجال لحكيها هنا الآن، المهم أن له أصدقاء كثيرون ممن يطلق عليهم لفظ أشقياء كون صدقاتهم أثناء السجن وكثيرًا ما حكى فتحي لعماد عن ذكريات السجن وكيف كان محبوبًا وسط الجميع.

كان عماد يحتاج شخصًا يساعده في خطته، شخص ذو طبيعة خاصة رسمها في ذهنه عدة مرات ولن يساعده في الوصول إليه سوى فتحي، هذا ما تفتق عليه ذهن عماد كما يقولون.

بعد دقائق كان عماد يدخل ذلك المقهى في وسط البلد وينتظر فتحي الذي من الواضح أنه لم يصل بعد، لم يرد عماد أن يلتقيا في مكان اعتادا الجلوس له فاختار ذلك المقهى بعيدا عن شارعه القديم وأماكنهما المألوفة للجلوس. نصف ساعة ولم يظهر فتحي، قرر عماد الاتصال به مرة أخرى، اتصل فجاء له صوت فتحي وهو يقول دقائق وسيكون عنده.

يحرص عماد إلا يفارق الكيس الأسود يديه، وراح يتأمل الجالسين حوله ويراقب حركة أعينهم، يبحث وسطهم عن شيء غريب أو لافت للنظر وعندما لم يجد جلس بهدوء يحتسي كوب الشاي الذي وضعه النادل أمامه منذ دقائق.

كان عماد يعلم بأنه من هذه اللحظة ينسف كل المبادئ والقيم التي تربّى عليها، ولكن الشياطين بداخله كانت أقوى من التفكير في المبادئ.

أخيرا ظهر فتحي وكانت عيناه تدوران في المكان بحثا عن عماد، فرفع عماد يده وهو ينادي عليه، كان فتحي قصيرا لدرجة ملحوظة وتشعر أنه يعرج في مشيته وهو يتجه لعماد ولو دققت النظر أكثر ستدرك أنه إحدى قدميه أكبر من الأخرى بعدة سنتيمترات، ولكن هذا لم يكن يسبب له أي مشكلة في حياته، سلم فتحي وجلس وهو يسأل عماد عن أخباره، حكى له عماد في كلمات سريعة عما فعله الحاج توفيق وابنه صبحي معه، تغير وجه فتحي وظهر الغضب على ملامحه وهو يعاتب عماد أنه لم يتصل به وقتها، ربت عماد على يده وهو يخبره أن هذا ليس مهم الآن، وبدأ عماد يسأل فتحي عدة أشياء وفي النهاية قال فتحي مستفسرًا ما الذي يريده عماد بالضبط، وعندما أخبره عماد أنه يحتاج إلى شخص يثق فيه وفي نفس الوقت مستعد لتنفيذ أي شيء

يطلب منه، بدأ فتحي يداعب فروة رأسه بيده وتساءل هل يريد عماد قتل الحاج توفيق أو صبحي ابنه، وبدأ يحاول اقناع عماد أنه يكفي خناقة بسيطة ومطواة على وجه صبحي كعلامة فلا داعي للقتل والدماء ولو على السكن فشقته موجودة وهو يعيش لوحده ويستطيع عماد أن يأتي للعيش معه، فالسجن وطبيعته لا تناسب عماد.

لم يستطع عماد لفترة طويلة أن يُسكت فتحي، فعندما يبدأ فتحي في الكلام من الصعوبة بمكان أن توقفه إلا إذا توقف من تلقاء نفسه، لذا انتظر عماد حتى رمى فتحي بكل ما في جوفه، وبدأ يقول له إن الأمر ليس كما يتخيل ولكنه موضوع شائك من الصعب أن يحكيه له الآن، المهم أن يكون لدى فتحي شخص بتلك المواصفات التي ذكرها هو.

صمت فتحي فترة وهو يسترجع في ذهنه كل أصدقاء السوء حتى لمع في ذهنه اسم فقال بحماسة:

- سعد خميس، لن تجد مثله، شخص مخلص، لا أعرف مخلصًا لماذا تحديدًا ولكنه المناسب لك، صدقني.

وأطلق فتحي ضحكة عالية وكأنما راقت له داعبته.

سأله عماد في هدوء:

- متى أستطيع رؤيته؟

- سأتصل به ونذهب إليه.

بالفعل اتصل فتحي برقم سعد خميس وبعد دقائق تقريبًا كانا يغادران المقهى في طريقهما إلى سعد خميس.

ذلك الطريق الذي بدأه عماد في تلك اللحظة ولم يعرف بعد إلى أي نهاية سيؤدي به.

* * * * *

منذ فترة قريبة..

بعد منتصف الليل بكثير.

كانا يقفان أمام النيل، عماد يتابع المراكب النيلية المركونة وعيناه على فتاة وفتى يتبدلان عناقا خفيفا وهما يلتفتان حولهما، تحسس بيده الحقيبة التي يحملها على ظهره وابتسم في غموض، بينما جلس سعد خميس وظهره للنيل يتطلع للعربة الفارهة التي أخذها من حازم وهو يهز قدميه.

قال عماد وهو يواصل تحديقه لمياه النيل:

- مرّ الأمر كما وعدتك أليس كذلك؟

ارتفعت ضحكة سعد خميس وهو يقول:

- من زيارتك لي أنت وفتحي وأنا أعرف أنك جواد فائز من الصعب عليّ أن أراهن على جواد خاسر، ولكن هناك حقًا

أسئلة كثيرة بداخلي لم أجد لها إجابة قط.

- احتفظ بالأسئلة لوقت لاحق، المهم أن الأمر يحدث.

- هذا أحد الأسئلة التي لم أفهمها، لماذا؟

- قلت لك أحتفظ بالأسئلة لوقت آخر، الآن استمتع بالنيل والهواء.

ساد صمت لفترة، قبل أن يقول سعد بصوت به تردد:

- هل ستواصل التدريب على ضرب النار

- بالطبع موعدنا غدا في نفس الساعة ونفس المكان كالعادة.

كان عماد قد بدأ يتدرب على استعمال المسدس والقتال منذ ثاني يوم قابل فيه سعد خميس.

ابتسم سعد وهو يقول بثقة:

- إنني أظن أنك لم تعد تحتاج لتمرين في استعمال المسدسات، فقد أصبحت تجيده حقا.

- لا مانع من زيادة الخبرة.

- هل ستقتل أحدا حقًا؟

- ألم أقل لك لتحتفظ بالأسئلة لوقت آخر، المهم أنني أريد أن تجهز لي أنا سلاح جيد.

- ليكن.

ظلا لفترة صامتين حتى قال عماد:

- هيا لكي تقلني إلى العجوزة.

- ماذا سنفعل في السيارة؟

- هذا سؤال مسموح لك به.

ثم أطلق عماد ضحكة عالية وهو يتطلع إلى عيني سعد خميس ويقول ببطء:

- السيارة من هذه اللحظة ملك لك، تصرف فيها كما تحب، فقط سآخذ شيء من حقيبتها، وبعدها أنت حر.

لمعت عينا سعد بنشوة وهو يراقب السيارة من مكانه وقال:

- ألن يبلغ أحد بسرقتها؟

- وهل يقلقك هذا؟ لا أظن، تصرف يا صديقي فهذه مجرد الخطوة الأولى.

ثم استطرد عماد وهو يتحسس وجهه بيده:

- هيا لنتحرك فالجو زاد برودة.

لم تمر دقائق حتى كان عماد يجلس بجوار سعد الذي احتل مقعد السائق وأخذت السيارة طريقها إلى العجوزة، وكانت

تلمع في عيني عماد نظرة شيطانية تقول إن الأمر لم ينتهِ بعد بل هذه مجرد بداية.

عندما هبط عماد من السيارة بعد عدة دقائق وأشار لسعد أن يفتح له حقيبتها، ومد يده وأخذ الحقيبة الضخمة الموجودة بداخلها ثم أغلقها وأشار لسعد أن يتحرك وإلا ينظر للوراء كما اتفقا، وبالفعل تحرك سعد، بينما ظل عماد واقفا مكانه لفترة قصيرة قبل أن يتحرك في اتجاه يعرفه وحدده سابقا.

* * * * *

(٨)

كانت غادة قد ألقت جسدها على فراشها، فمنذ غادر هذا الشخص الغريب شقتها وهي في حالة اضطراب فكري، فما طرحه أمامها جعلها تدرك أنها ستدخل عرين الأسد مرة أخرى ولكن هذه المرة ستدخله عارية من كل شيء.

كان ذهنها يشتعل بالأفكار المجنونة، عندما رأت حازم ظنت أنه وراء ما يحدث لها، ولكن لو كان حازم بالفعل هو من يحرك ذلك الشاب الغامض لماذا الآن وبكل كل هذه السنوات، وما وجه الفائدة؟

استعادت غادة أيام كثيرة من حياتها، راحت تمر أمام عينيها بسرعة أحيانًا وببطء أحيانًا أخرى.

تذكرت كيف جاءت من المنصورة أول الأمر إلى القاهرة تحلم بالأضواء والشهرة، وكيف كانت لقمة سائغة للمخرجين، والممثلين، كم علاقة فاشلة قامت بها..

إن الجميع طمع بها وهي كانت سهلة، يجب أن تعترف لنفسها بهذا، حتى عمال الإضاءة ومساعدين الإخراج كانت ترى نظرات الاشتهاء في أعينهم. والسؤال الذي يطل من أعينهم متى سيأتي دورنا معك نحن ننتظر.

الحلم هو الشيء الوحيد الذي قد نتنازل أمامه على كل القيم

لنصل إليه. وهذا حلمها أن تصبح نجمة أن تصبح أسطورة في عالم الفن، وظل الحلم بعيد المنال حتى تعرفت على حازم.

لا تعرف كيف ومتى دخل حياتها، ولكنه دخل حياتها بأسرع مما تتصور. فجأة أصبحت ملك يمينه يحركها ذات الشمال وذات اليمين بسهولة مطلقة. كانت ما تزال غضة طيعة قابلة للتشكيل، وجاء الحلم بصورة لم تتخيلها قطّ، عندما طلب منها حازم أن ترافقه في سهرة خاصة في فيلا الكبير، لم تكن اعتادت الرفض بعد.

قال لها وقتها إن أي أحلامها سهل التحقيق بمجرد أن تدلف بقدميها إلى داخل الفيلا، لم تفهم إلام يلمح، ولكن ليكن لن تخسر أكثر مما خسرته بالفعل.

فستان جديد اشتراه لها حازم، خطواتها لداخل الفيلا ونظرات البعض ناحيتها، نظرة من يخلع عنها ثوبها ويلصق نفسه بها تطل من أعين الكثيرين، تشبثت بيد حازم وكأنها تحتمي به آنذاك من الجميع.

تطلعت إلى ذلك الرجل الضخم الجثة بطريقة ملفتة وهو يجلس على مقعد حجري أعد له خصيصا بجوار حمام السباحة، وكانت الأضواء تلمع في كل مكان، ملابس وعطور فاخرة تشمها حولها، فاتنات يتجولن في ملابس شفافة لا تخفي شيئا، حازم يمسكها ويقترب من ذلك الرجل الضخم،

وفي مشهد تمثيلي غريب ينحني حازم ليطبع قبلة على يد الكبير كما سماه حازم، قال حازم وقتها وهو يشير ناحيتها «غادة عبد العليم» نجمة مصر القادمة، تأملها الكبير وكأنه يقيس أهميتها، وربما لمعت عيناه لثوان وهو يتطلع لمفرق نهديها، ثم ابتسم ابتسامة بسيطة وهو يهزّ رأسه.

ارتسمت ابتسامة رائقة على شفتي حازم وهو يسحبها من يدها بعيدًا عن مكان الكبير وهو يقول مرحًا:

- مبارك عليك لقد تم قبولك بيننا.

- بينكم؟ أنني لا أفهم أي شيء.

- مع الوقت ستفهمين، الآن هيا لندمج بالحفل وأعرفك على بعض الموجودين.

عالم غريب من الثراء المتوحش لو صح التعبير حولها في كل مكان، بدأت تقديم المشروبات من يد فتيات جميلات يرتدين تنانير قصير تظهر سيقانهن الجميلة، مد حازم يده لمشروب وقدم كأسا لغادة وهو يقول لها اشربي، شربت غادة المشروب وتطلعت لحازم وهي تحاول أن تستفسر عن نوعها. فضحك بشدة وهو يقول ستعلمين قريبًا، ثم ابتسم وهو يربت على كتفها العاري قائلا إنه مشروب النشوة، النشوة التي لن تعرفي مثلها من قبل.

هزّت رأسها في لا مبالاة وتجرعت الباقي من المشروب، ولكن بعد ساعة تقريبا اختلف كل شيء في عينيها أنها لا تفهم ولا تصدق، لقد تناولت كأسا آخر من المشروب وعندما أرادت الثالث قال لها حازم يكفي لهذا الحد، لم تعرف هل هي تترنح أم لا، ولكن مؤكد أنها قد سكرت وأصبحت في عالم آخر، فهي ترى وجوها أخرى حولها ومرت ساعة أخرى وهي تحاول استعادة نفسها وقتها سمح لها حازم بالكأس الثالث من المشروب.

لقد انطفأت أضواء الفيلا بغتة، وساد ظلام دامس، ظلام شعرت أن له ثقل، وبعد دقيقة كانت هناك تلك الشموع في يد رجال يرتدون زي موحد ويتحركون باتجاه حمام السباحة، كانوا حليقي الرؤوس، وجذعهم عار، ولا يرتدون شيئا في أرجلهم، منظرهم كان مدهشًا آنذاك في عيني غادة، لم تمر هنيهة حتى رأتهن في تلك الأقفاص، فتيات صغيرات من نظرة واحدة تدرك أنهن في العشرينات تقريبا، كن في أقفاصهن شبه مخدرات يتحركن ببطء شديد داخل تلك الأقفاص التي يدفعها رجال ذوي وجوه صلبة وكأنها قدت من حجر.

مالت ناحية أذن حازم وهي تسأله في نشوة بالغة لا تعرف من أين تنبع: هل هذه فقرة تمثلية؟

ابتسم لها ابتسامة غامضة وهو يقول:

- كلاّ، انتظري وسترين.

كانث تشعر فجأة بالجوع ونهم تجاه اللحوم، لاحظت عدم وجود أي طعام حولهم، لا شيء سوى ذلك المشروب أخضر اللون الذي يتجرعه الجميع تقريبا، لماذا تشعر بذلك النهم والحاجة إلى الطعام.

حاولث أن تتجنب الأمر وهي تنظر لما يحدث، فالرجال قد بدأوا يرشون على الفتيات داخل القفص سائل ما، والفتيات مستسلمات لما يحدث وكأن الأمر يحدث لغيرهن، وارتفعت موسيقى غريبة في المكان، موسيقى زاعقة جعلت غادة تضع يديها على أذنيها من عنفها.

بعد لحظات وقف الكبير وهو يحمل في يده مشعل ما، مرره على دائرة خلفه، فاشتعلت وتأججت بالنيران بغتة، جفلت غادة ولكنها لم تتراجع عن التحديق فيما يحدث.

وبعد دقيقة كانت الأقفاص بالفتيات داخل تلك الدائرة، قبل أن يقترب منهن الكبير وفي منظر لم تتخيله غادة في أبشع كوابيسها ألقي الكبير بالمشعل داخل أول قفص، ثم تناول مشعل آخر ليرميه في القفص الثاني، وظل ينظر للجمع لثوان قبل أن يفعل المثل بالقفص الثالث، الغريب في الأمر أن

النيران قد اشتعلت في أجساد الفتيات داخل القفص بشدة وراحت رائحة الشواء تنتشر بسرعة في المكان، شواء لحم بشري، المدهش بالنسبة لغادة إنها في تلك اللحظة لم تكن تشعر بالاشمئزاز بل كانت تشعر بالجوع وبدرجة لم تشعر بها في حياتها قطّ.

وفي منظر جنوني رهيب بدأ فتح الأقفاص بعد أن سقطت الفتيات داخل الأقفاص وقد شويت أجسادهن تماما، وتحرك الحضور ناحية الأقفاص في وحشية وتلذذ رهيب، الغريب أن غادة تحركت معهم بالمثل وراحت تزاحم لتفوز بجزء من اللحم المشوي وسط ضحكات جنونية رهيبة لا تتوقف.

وبرغم أن غادة كانت تتصور أنها واقعة تحت تأثير هلاوس سمعية وبصرية رهيبة بسبب مشروب النشوة العجيبة، كانت ثملة تماما هذا ما كانت تقوله لنفسها وهي تنزع قطعة لحم مشوية تلوكها في فمها في تلذذ ونشوة، كانوا يجتمعون على مائدة شواء، لكنه شواء لحم بشري، سحقا!

ارتعش جسد غادة في تلك اللحظة وهي تنظر لنفسها في المرآة وهي تتذكر كل هذا الجنون وتسب من داخلها، اللعنة! من أين جاء هذا المجنون الذي يريد أن يظفر بما لم يستطع أحد الوصول إليه.

وجدت نفسها تقذف المرأة أمامها بكوب بجوارها، وكيانها

يشتعل بغيظ لا نهاية له.

* * * * *

الآن

قبل هذا بقليل.

كان عماد يشعر بصداع رهيب يشل رأسه، حاول أن ينظم تفكيره ويتذكر. ولكن الذكريات تأتي له مبتورة وناقصة، بعضها ذكريات يظن أنها لأشخاص آخرين أو قد أصاب عقله جنون خاص.

كان يحاول التذكر، ولكن هذا كان يجعل الصداع يزداد أكثر وأكثر.

شيء جعله يقرر مرة أخرى تفتيش الاستوديو، شيء يقول له أن يبحث عن حلقة مفقودة سيتذكر منها كل شيء.

شعر برأسه يترنح وكان على وشك السقوط، استند على الحائط بجواره وهو يتطلع حوله بشغف حقيقي، قبل أن يشعر بتلك الدوامة تتخطفه، وسقط أرضا، وأخذ جسده يرتجف بعنف وقد تخشب تمامًا وأصبح قريب الشبه بالمصاب بالصرع.

ولكن مخه كان يلتهب داخل رأسه يلتهب بالذكريات البشعة

والرهيبة وازداد ارتجاف جسده لدرجة مدهشة، وأخذت الذكريات تترى تباعا، ذكريات شهرين فقدهما من حياته وها هو يستعيدهما بصورة لم تدر بخياله قطّ.

يرى سعد خميس يودعه في شوارع العجوزة، لا يعرف لماذا العجوزة تحديدا، إنه يحمل حقيبة كبيرة ويتحرك بثقل، يمشي وئيدا وبعد دقائق يقف أمام ذلك الفندق، يشاهد نفسه يصعد سلالم الفندق، يطلب حجز غرفة، يكمل إجراءات الحجز، يطلب من عامل الاستقبال أن يضع الحقيبة في الأمانات لديهم، يدفع الحقيبة بثقلها إلى عامل الاستقبال فيضعها في الامانات ويعود ليعطيه رقم، يدفع ثمن حجز ثلاث أسابيع، ويقول للعامل إنه سيغادر ويعود بعد قليل، ويأخذ مفتاح الغرفة، ما زال يحمل الحقيبة الأخرى الصغيرة على كتفه.

ليل غريب وهو يحمل ألبوم صور في يده، يكون مع فتحي وشخص آخر. بعد لحظات يلاحظ أن الآخر هو سعد خميس، إنه في مقهى شعبي، صوت الدومينو والطاولة يرتفع من حوله، هو بملابسه القديمة، كلمات بينه وبين فتحي، وسعد خميس يهزّ رأسه متفهما وهو يسحب أنفاس من الشيشة، دخان الشيشة يتصاعد ليملأ عقله، ضباب كثيف، جسده يرتعش وعيناه تجحظان بشدة.

يجد نفسه جالسا في الأستوديو، بيده مفكرة صغيرة يقلبها تقف عيناه على السطور التي تتداخل أمام عينيه قبل أن تستطيع عيناه قراءة المكتوب.

«عزيزي، أعرف أنني قد أنسى بعد الأشياء ولكنك سوف تعزرني، الأمر ليس عن طيب خاطر، إنها ضريبة العمل، آه، تذكرت، الفتاة وإيفان، قلت لك لقد جن إيفان حقًا، يقول إن الفتاة تحرسها الشياطين وعندما تعود سيؤكد لي هذا، لن يعتمد عن تلك الصورة لها.

جاءت الفتاة بعد أسبوعين تقريبا لتسأل على الصور، لم أر في الفتاة أي شيء مثير، طلب مني إيفان أن أصورها دون أن تلاحظ، أعتذر لها أن الصور ستتأخر لمدة أسبوع آخر، فغادرتنا ولم يبد عليها الغضب، وقتها طلب مني إيفان أن اسير وراءها لأعرف عنوانها، فكان من المستحيل أن يطلب منها عنوانها وإلا شكت أن في الأمر شيء مريب.

كنت خائفا عزيزي وأنا أتبعها في شوارع القاهرة، القاهرة وقتها لم تكن بمثل زحام اليوم فمراقبتها لم تكن عسيرة بل هي أقرب لليسر.

هذه الفتاة لديها طاقة لا تنضب، خمس ساعات كاملة وهي تمشي دون توقف إلا لدقائق قليلة، تقف أمام واجهات محلات تلقي نظرة وتسير، لا أعرف من أين تستمد طاقتها، فهي لم

تأكل أو تشرب شيء منذ غادرت الأستوديو لدينا، مؤكد ستتعب بعد قليل، هذا يا عزيزي ما كنت أمنى نفسي به، ولكنه لم يحدث مرت ساعتان فوق الساعات الماضية وهي تسير وتسير، خفت كثيرا أن أفقدها فيغضب إيفان منى، أخيرا وصلت للمكان الذي لم أتصور أنها تسكن به، فقد كانت تلك الفتاة تسكن المقابر، رأيتها وهي تدخل تلك البوابة الحديدية لمقبرة ما وتطلعت للداخل بعد دخولها فلم تصطدم عيناي سوى بالظلام، بقطعة من الطوب الأحمر علمت المقبرة وبابها وهربت من المكان، وجودك داخل مقابر في هذا الليل أمر مخيف، نعم كما توقعت كان إيفان يغلي من الغضب في الأستوديو ويظن أنني كنت أعبس طوال هذا الوقت، قلت له على مكان الفتاة حيث تركتها، فلمعت عينا إيفان وهو يقول في إصرار عجيب ألم أقل لك إن الشياطين تحرس تلك الفتاة، لقد رأيتهم، كان لا ينقصني جنون إيفان.

طلب أن نذهب للمقابر مرة أخرى، حاولت التملص منه، قال إنه سيأخذ صور الفتاة احتياطي معه إذ صادف ورأتنا، سأقول إنني أنجزت لها الصور وجئتها بها، طبعا لم أستطع أمام حماسه الرهيب أن أقول له إن الفتاة قد تسأله وقتها من أين جاء بعنوانها.

عزيزي، الطريق وسط مقابر في الليل هو شيء مفزع وتجربة

لم أعرف أنها ستلازمني لفترة طويلة.

إيفان وأنا نتحرك ببطء، أنني أعرف الطريق بعض الشيء فقد تركت بعض العلامات بالطوب الأحمر، أخيرا كنا أمام تلك المقبرة التي دخلتها الفتاة. الليل فوقنا، والطريق معتم، لا أعرف لماذا أصر إيفان أن يأتى بتلك الكاميرا العجيبة، ولكنه كان يحملها ويضعها على عينيه من وقت لأخر ويشاهد المكان عبر عدساتها، الضوء قليل جدًا ولا صوت تقريبًا، كانت المقابر وقتها قليلة السكان وليس كمثل اليوم، بل كانت نادرة السكن.

أخيرا أشرت بيدي لإيفان على باب المقبرة الحديدي، كشاف صغير جئت به تحسبا للظروف رحت أضيء به المكان، وجدت إيفان يدفع الباب بحماس ويدخل، أصدر الباب صرير ظننت لوهلة أنه سيجعل الموتى سيهبون ليعرفوا من يزعجهم، لكن لم يحدث شيء، ما زال الهدوء هو المسيطر، التراب أسفل قدمينا وأنا اتحرك خلف إيفان وأسبه في سري، ما الذي جاء بنا لهنا.

صوت غريب خافت وصل إلى مسامعنا صوت أقرب للقضم والمضغ، رائحة نتنة خانقة تنتشر في المكان، الصوت يقترب، صوت تحركنا خلفه وهناك وسط الظلام رأيناها تفترش الأرض، كانت نفس الفتاة، كلاّ عزيزي لم تكن نفس الفتاة حقًا،

فقد كان بين يديها جثة متفسخة وكانت الفتاة قد مدت أسنانها وتقضم فيها، وجهت الكشاف ناحيتها، فتراجعت للخلف بذعر ونظرت ناحيتنا أطلق إيفان صرخة رهيبة، بينما راحت هي تزمجر بعنف، سقطت الكاميرا من بين يدي إيفان وتسمر في مكانه وهو يخرج صور الفتاة ويضعها أمام عينيها وكأن هذا سيوقفها عن مهاجمتنا في تلك اللحظة لم أدر بنفسي إلا وأنا أمسك حجرًا من الأرض وأنهال على رأس الفتاة بها، لا أعرف كم مرة رفعت ذلك الحجر وهبطت به على رأسها، المهم أنني سمعت رأسها يتهشم عدة مرات وسالت الدماء بغزارة بين سقط إيفان على ركبتيه وهو يصرخ يا للسماء، سحبته بالقوة لنغادر المكان، كانت ملابسه قد غرقت بالدماء وكذلك الكاميرا وصور الفتاة، لا أعرف كيف ظل ممسكًا بكل هذا ونحن نفر من المكان وكأن شياطين الجحيم تطاردنا، حقًا كنت أشعر بأن الشياطين تطاردنا كل دقيقة، لا أعرف كيف وصلنا للاستوديو وقتها أو لا أتذكر، المهم عندما كان إيفان يتخلص من تلك الملابس الغارقة بدماء الفتاة وقعت منه الصور الخاصة بها، المدهش في الأمر أن الصور نفسها تغيرت، فقد نقلت صورة للفتاة وهي تنهش في جسد ميت، وقتها إدرك إيفان طبيعة تلك الكاميرا الشيطانية وعدساتها وكيف تحمض أفلامها، دماء بشرية فقط، لم نكن نعلمها وقتها أننا فتحنا أبواب لعنة لن تنتهي بسهولة، ولم أكن

أعرف أنني سوف أرى وأواجه ما واجهته بعد هذا، إيفان يريد..

بدأ جسد عماد يهدأ قليلا، وراحت أنفاسه تهدأ، عرق عزيز تفصد عن جبينه، وانطلقت شهقة عالية من بين شفتيه وبدا وكأنه يعود من عالم آخر.

بعد دقائق كان عماد يستند إلى المقعد خلفه وعيناه تلمعان في صورة بشعة، إنه يتذكر حقًا، ولكن من الجلي أن ما يتذكره يزيده جنونًا.

* * * * *

الحياة دوما ما تخفي أشياء من الصعب فهمها أو تصديقها ما لم تعشها.

كان عماد قد عاد من مقابلته لسعد خميس بعد التدريب على استخدام المسدس، كان قد أجل لقاءه بأشرف جلال، عندما أعاد التفكير، كان يجب عليه أن يدرس خصمه جيدًا ويعرف أماكن تواجده، طوال هذا الأسبوع راقب شركة أشرف جلال وعرف مواعيد حضوره وانصرافه، وعرف كل موظفين الشركة تقريبا واستطاع أن يفرق بينهم وبين العملاء، كان المال يتبخر من يد عماد فلجأ إلى فتحي واستلف مبلغًا لتسير أموره، الآن كان عليه أن ينفذ ذلك اللقاء الذي أخره.

وقف أمام عمارة الشركة وهو يتأمل ملابسه ويلقي نظرة أخيرة على الظرف الذي في يده ما يحمله من صور فظيعة ليست كل الصور ولكنها تكفي واعاد التدقيق للصور والظرف قبل أن يغلقه جيدا وبدا التحرك بخطوات وئيدة متمهلا، بعد دقائق كان يقف أمام سكرتيرة أشرف جلال، أخبرها أنه يرغب في مقابلته، فسألته عن سبب الزيارة، وهل هناك موعد،أخبرها أن الأمر مسألة شخصية وليس هناك موعد سابق، فسألته أن يترك بياناته وسوف تتصل به لتحديد موعد ولكن عليه أن يخبرها بسبب الزيارة، لم يكن لدى عماد الكثير من الصبر وهو يمد يده بالظرف المغلق وهو يقول لها إن عليها أن تسلمه هذا الملف فورًا وهي مسألة حياة أو موت.

الثقة التي نطق بها عماد كلماته، مع نظراتها الحادة ناحيتها، جعلتها تمصمص شفتيها وهي تقف وتأخذ الملف وتدلف لغرفة أشرف جلال، عادت بعد دقائق وقالت له: لينتظر قليلًا.

لم تمر دقائق حتى فتح باب أشرف جلال وظهر بنفسه لعماد، كانت عيناه جاحظتين بشدة وتأمل عماد بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يقول له: تعال. ثم قال للسكرتيرة ألا تقاطعه أو تدخل إليه إلا لو استدعاها، كان أشرف جلال في أواخر الخمسينات، شعره أبيض، ملامح وجهه حادة، أنفه عريض وشفتاه غليظتان، ويملك عينين حادتين نافذتين، راح يتطلع

لعماد دقائق دون أن يصدر أي صوت، وأخيرا نطق في لهجة وبصوت به رنة غضب هائل:

- من أين حصلت على هذه الصور؟

قال عماد وهو ينظر له بتحدٍ:

- من صديق؟

ضغط أشرف على مسند مقعده بشدة وقد احتقن وجهه لدرجة ملحوظة:

- هل تعرف ما داخل ذلك الملف؟

وجد عماد نفسه يتعمد الكذب:

- حقيقة، كلاّ ولكن صديقي يقول إنه أمر يخصك ويجب أن يصل إليك، وإن لديه نسخ أخرى من الموجود داخل الملف لو حدث لي أمر ما سيضطر لنشرها للعامة.

- أصديقك هذا صحفي؟

- أظن أنني لا أستطيع أن أجيب على هذا.

- هل تعرف عمر الموجود في هذا الملف.

- حقيقة لا أعرف أي شيء، كل ما أعرفه وقاله صديقي لأبلغه لك، أنه يريد مليون جنيها مقابل أن يعيد لك باقي محتويات

الظرف.

أغلق أشرف جلال الظرف ومد يده لعماد به وهو يقول:

- مليون جنيه، يستطيع صديقك أن يحتفظ به، ولكن قل له إنها نهايته، ونهايتك أنت أيضا.

وقف عماد ومد يده ليمسك الظرف في تحدٍ:

- في هذه الحالة، سيضطر صديقي لعرض كل شيء، على الجرائد وفي صفحات الإنترنت.

سحب أشرف جلال يده بالظرف وعاد ليجلس صامتًا لدقائق يتطلع لوجه عماد قبل أن يقول:

- سأعطيك ما طلبته، ولكن بشرط واحد.

- ما هو؟

- إذا عدت لتهديدي مرة أخرى سوف أقتلك، وسوف أبحث عن صديقك لأقتله أيضا، بل سأقتل أي شخص تربطه بك وبه علاقة.

- لا أعرف كيف أهددك أنا مجرد رسول برسالة من صديق، وعليّ الآن أن أعود له بردك، وأظن قتلي لن يفيدك أو يفيد صديقي في شيء، ولكن أعدك أنني لن أخاطر بنفسي في شيء كهذا مرة أخرى، المهم أن صديقي يريد المبلغ نقدًا

وليس شيكات .

- وهل تظن أنني احتفظ بمليون جنيها في جيوبي، صديقك مجنون وأنت مثله.

بدا التردد على وجه عماد وهو يقول:

- والحل الآن؟

- هل بياناتك التي تركتها لدى السكرتيرة حقيقية.

وابتسم أشرف جلال وهو يستطرد:

- مؤكد أنها ليست حقيقية أليس كذلك؟

قال عماد بهدوء غريب وثقة:

- بل هي حقيقية، كما قلت لك أنا مجرد رسول لماذا أكذب؟

- عموما لا يهم الآن هذا، أترك رقم هاتفك لدى السكرتيرة، وسوف أتصل بك لتأتي بباقي الصور من صديقك، لكن عليك أن تحذر مني جيدا، أنت تعجبني لهذا السبب سأتركك تغادر الشركة بأمان ولن يتبعك أحد، اتصل بي في الثامنة مساء لتأتي لتستلم المبلغ، ستكون آخر مرة أرى وجهك فيها هل فهمتني؟

هزّ عماد رأسه وهو يمد يده ليلتقط الظرف الذي وضعه أشرف أمامه على المكتب ولكن يد أشرف كانت أسبق وهو

ينظر لعينيه بغيظ قائلًا:

- تستطيع الانصراف، الآن.

وقف عماد بهدوء وهو يقول:

- سأنتظر المكالمة في الثامنة.

* * * * *

الآن

بعد منتصف الليل

إنه يتذكر، راح عماد يتأمل الأستوديو ويمر بيديه على الصور المؤطرة، وعقله يغلي، لقد تذكر لقاءه بسعد خميس، ولقاءه بأشرف جلال، بل يتذكر تلك المقابلة والصور والتهديد، كان لديه ميعاد في الثامنة مساء مع أشرف جلال يومها، لقد ذهب مؤكد، ذهب لهناك وأخذ مبلغ الميلون جنيه، ولكن أين أخفاها؟

راح يحاول أن يتذكر أكثر ولكنه يشعر أن رأسه على وشك الانفجار، شيء يضغط عليه ويجعله يشعر بالجنون، كل هذا حدث في شهرين، يجب أن يضغط على أعصابه ليتذكر كل شيء، مفكرة جده، ستجيبه مؤكد عن أشياء كثيرة، أين هي؟ لقد وقعت منه أثناء تلك الحالة العجيبة التي انتابته.

عاد يبحث بلهفة داخل الاستوديو، أخيرا لمحها، أنه يتذكر ما قرأه سابقًا، الفتاة وإيفان «وقعت عيناه على تلك السطور بداخل المفكرة ..

«وقتها إدرك إيفان طبيعة تلك الكاميرا الشيطانية وعدساتها وكيف تحمض أفلامها، دماء بشرية فقط، لم نكن نعلمها وقتها أننا فتحنا أبواب لعنة لن تنتهي بسهولة، ولم أكن أعرف أنني سوف أرى وأواجه ما واجهته بعد هذا، إيفان يريد أن يهرب خارج البلاد، مؤكد سيجدوننا، طمأنت إيفان إنه من المستحيل أن يصلوا إلينا، مستحيل، الشرطة ليست بهذه الخبرة، فتاة ميتة داخل مقبرة وبجوارها جثة أخرى كانت مدفونة، لا أظن أحد سيهتم إلا التربي، الذي سيعيد دفن الجثتين وهو يظن أن من فعلها لصوص جثث، وسيخاف أن يبلغ البوليس، إيفان لم يقتنع بكلامي، قال إنه سيسافر خلال يومين على الأكثر، سيقتسم معي العدسات، وسيترك لي الكاميرا وأفلامها، والاستوديو، حاولت إرجاعه عن فكرته هذه، ولكنه صمم وقال إنه لن يسمح لنفسه أن يسجن فلديه ابن هناك في فرنسا وزوجة ولا يريد أن يخسرهما، في النهاية استسلمت لرغبات إيفان، هرب وتركني لأواجه مصيري، ترك لي عنوانه وقال لو رغبت في يوم أن أذهب إليه سيكون سعيدا باستقبالي، وعلينا أن ننسى كل شيء، قبل أن أنسى كتبت عنوان إيفان في آخر المذكرة ستحتاجه بكل تأكيد يا

عزيزي، وسأخبرك كيف أيضا تصل إليه ومن سيذهب ليجلب لك ما تحتاجه من إيفان، أنني أعلم مسبقا أنك ستحتاجه، لأنني أنا نفسي احتجت إليه، ولكني لم أملك الجرأة الكافية للذهاب لهناك، أنت ستكون لديك الجرأة أنا متأكد، لا أعرف وقتها هل سيكون إيفان حيًا أم ميت، لكنك ستصل لما تبغي، شيء بداخلي يؤكد لي هذا.

الحقيقة ليس شيء واحد ولكنهم هم يؤكدون ذلك، هم يدرون أكثر مني ومنك، أنهم يسكنون جسدي وعقلي وكياني، أنهم صاروا ذكرياتي بل أكثر من هذا، قبل أن أنسى سافر إيفان حقًا، وتركني لأواجه مصيري، وعرفت ما لم يعرفه هو، بل أدركت لماذا جاءت الفتاة إلينا، العدسات تجلبهم، تجبرهم على المجيء أو تجبرني أنا على الذهاب، إنهم يقولون إنك ستفهم وستعرف السر من نفسك، ولكني أقوله لك تحديدا، تلك العدسات ملعونة، لعنة أبدية، لعنة تحمل آلاف السنين من السحر، تطاردهم عبر كل السنوات، وتطاردنا نحن أيضا، نحن الصيادون.

حقًا إنك صياد، لن تعرف معنى هذه الكلمة إلاّ عندما يصبحون أمامك، لقد أدمنوا اللحم البشري لفترات طويلة أدمنوه حيًا أو ميتا، وعندما يشتد جوعهم يلجأون للجيفة، إنهم غيلان حقيقية..

احترس سيبحثون عنك وتبحث عنهم ولن تعرف كيف تلتقيان، الذئب والحمل في غرفة واحدة، أين وصلنا، هرب إيفان حقًا، وطاردتنا اللعنة، والهوس بالكاميرا العجيبة، وتلك الصور، أتوا إليّ حقًا مدفوعين بسحر عجيب يأتي بهم إليّ، وذهبت إليهم حقًا، ولكنني ضعفت وهربت في النهاية. أنت لن تضعف أعرف هذا، وأدرك هذا، أعرف أنك ستصل رغم عن أي شيء، سأترك عنوان إيفان في نهاية المفكرة، لأنني لا أتذكر إلا هذا في تلك اللحظة، أنني على وشك الجنون، الجنون».

نظر عماد لباقي المفكرة وجدها صفح كثيرة غير موجودة وهناك من انتزعها من مكانها، هل هذا كل ما كتبه جده؟ مستحيل!

إنه يتذكر أكثر من هذا، ولكن أين باقي المفكرة هل هو من مزق الباقي أم جده، كالعادة لم يجد إجابة الأمر يزداد غموضًا وحيرة، وجد في نهاية المفكرة ورقة صغيرة بعنوان في فرنسا، ورقة مر عليها زمن طويلة وقتها لمعت في ذهن عماد صور أخرى، صور له هو، كان يقف ليراقب شخص ما في مكان ما، شخص يتذكره الآن جيدا ويعرف أنه من سيأتي له بأشياء يرغبها بشدة، شخص في طريقه إلى المطار ليسافر في رحلة جوية، ولمع في ذهنه اسم وصور أخرى رهيبة لذلك الشخص.

إنه يعرفه باسمه وصورته حازم الجابري.

كابتن طيار حازم الجابري .

* * * * *

(٩)

إن تفقد ذاكرتك هذا شيء جيد بالتأكيد فسوف تنسى لفترة مشاكلك وتبدأ في صنع مشاكل جديدة.

ولكن أن تفقد شهرين أو أكثر من ذاكرتك فهذا شيء مرعب، فتلك الفجوة تقتلك كل يوم، وما تكتشفه يثير جنونك أكثر وأكثر، مرحلة ملء الفجوات في ذهنك مرحلة مميتة وغريبة ومثيرة.

كان عماد في حالة يرثى لها، فجأة وجد نفسه في مواجهة لعنات وأموات، وغيلان، بدأ يشك في عقله وأن كل ما يحدث أنه مصاب بهلاوس أو جنون. ولكن هل الجنون يجعله يملك هاتفًا حديثًا وبذلة حديثة ومبلغًا ضخمًا في جيبه، هذا بالإضافة لمحاولة قتله، هل الهلاوس تجعله يشفى من طعنات قاتلة بغتة، الجنون والهلاوس أقل من هذا بكثير.

كان يريد في تلك اللحظة الفرار من هذا الاستوديو العجيب، تذكر تلك الكاميرا الشيطانية التى رآها في كوابيسه وكان يحملها جده، لماذا يشعر أنها ليست كاميرا واحدة، بل كاميرتان هناك كاميرا أخرى شيء بداخله يؤكد له هذا، ولكنه لم ير غير واحدة هنا فأين الأخرى، التي يتذكر أنه أخذها من شخص ما، الصورة ليست واضحة، ولكنه يتذكر تهديده

لشخص ما بتلك الصور الرهيبة، يتذكر ملامح هذا الشخص كان هذا الشخص في الأربعين تقريبا يتذكره بجسده الفارع وقوامه المنضبط وملامح وجهه التي ما زالت تحمل وسامة زائدة، ويتذكر تلك الصور والخيالات عن تلك الحفلة المجنونة في ذلك القصر، بلى إن اسمه حازم، كابتن حازم، لقد قابله هو وهدده، مؤكد هدده، وطلب منه وقتها طلب غريب أن يأتي له بأفلام كاميرا من فرنسا ومن عنوان ما، متى قابله أول مرة، الصور تهرب من أمام عيني حازم، المهم أنه قابله، والآخر وافق لم يكن أمامه شيء آخر، لقد وافق تذكر عماد كيف لمعت عينا حازم بشكل غريب وهو يوافق وكأنه عجبته أثارة الأمر أكثر من التهديد، هناك شيء غريب في حازم هذا، شيء لا يدركه عماد،لقد حصل بالفعل على حقيبة الأفلام ولكن أين أخفاها، ما المكان الذي قد يكون أكثر أمنا من هنا بالنسبة لعماد؟ راح يمطر نفسه بالأسئلة وهو يحاول أن يسترجع ذكريات أخرى أكثر، ولكنه تعب، أعصابه هرست من جراء ذلك المجهود الذهني الذي يعصف بكيانه كله.

استخرج الكاميرا من مكانها وراح يتطلع إليها، راح يوجه عدساتها في المكان حوله، الكاميرا تثير لديه مشاعر مقبضة وغريبة، وضعها أمامه متوجسًا منها، ما سرك أيتها الملعونة؟

ارتفع رنين هاتفه المحمول فانتفض جسده بغتة، ثم استراخ

وهو ينظر لنمرة المتصل، لمح الاسم، هدى، كيف نسيها؟ إنها حبيبته لقد جاءت على باله كثيرًا ولكن ما يحدث له جعله يقرر أن تظل بعيدة حتى يستعيد نفسه، تلقى المكالمة.

جاء صوتها هادئًا وهي تقول له بصوت به رنة عجب:

- أين أنت؟

لم يعرف بما يجيبها ولكنها واصلت كلامها:

- لقد عدت من عند ماما وانتظرك في البيت.

- هدى.

- أعلم يا حبيبي أنك غاضب مني أنا آسفة ولكن أولاد أختي لم يتركوني لحظة واحدة فلم أكلمك.

لم يعرف بما يجيبها فقالت مستطردة:

- ما بك لماذا لا ترد عليّ، أكل هذا من أجل أنني لم أكلمك طوال وجودي عند أمي ، أليس أنت من قلت لي ألا أتصل بك لأنك مشغول طوال الوقت في أمور مهمة وعملاء، عموما أنني أعتذر مرة أخرى.

وجد نفسه يهتف:

- هدى من أين تتكلمين؟

انطلقت ضحكة هدى عالية وهي تقول:

- من البيت طبعا، تحديدًا من غرفة نومنا.

- غرفة نومنا؟

- لماذا تعيد كلامي مثل البغبغان، بالطبع من غرفة نومنا أين تظنني سأكون؟

- هدى أنني لا أفهم؟

- ما الذي لا تفهمه؟ تعال إلى ّ وسوف أفهمك كل شيء بطريقتي، هيا لا تتأخر.

أغلقت هدى المكالمة قبل أن يرد، نظر عماد لهاتفه للحظات وهو يتساءل أي جنون هذا؟

هل جنت هدى أم هو الذي جن؟ وجد نفسه يعيد الاتصال بها مرة أخرى، فجاء صوتها مليء بالغنج وهي تقول:

- هل سنقضي وقتنا مكالمات، هل يومان عند أمي يفعلان بك هذا؟

قال في صوت حاول أن يجعله هادئا:

- هدى، هل سوف تصدقيني لو قلت لك إنني حقًا لا أفهم أي شيء من كلامك.

- ما الأمر، هل أنت مريض؟

- نعم، بالفعل أنا مريض.

شعر باللهفة في صوتها وهي تقول:

- أين أنت؟ قل لي مكانك وسوف أتي حالا؟

- ألن يمنعك أبوك لتأخر الوقت؟

- يمنعني أبي، عماد ما الذي تقوله أنت زوجي كيف يمنعني أبي من رؤيتك؟

- زوجك؟

- عماد لقد أفزعتني حقًا، أين أنت قل لي بسرعة؟

بلع عماد ريقه بصعوبة، كيف ينسى أنه تزوجها تساءل بداخله وهو يقول لها محاولا استيعاب الأمر:

- قل لي أنتِ وبهدوء عنوان شقتنا، لقد تعرضت لحادثة ولا أتذكر.

سمع صوت هدى وبه رنة شك وملل:

- حادثة أهي لعبة منك؟ عموما خذ العنوان وتعال بسرعة.

أخذت هدى تمليه العنوان وهو يكتبه بهدوء وعقله يشتعل بالتفكير، كيف ينسى أمرا كهذا؟

كان العنوان فيلا في المعادي، كمباوند عباد الرحمن خلف نادي الصيد، القطامية .

العنوان لوحده كان كافيًا ليذهب ليسلم نفسه لمستشفى الأمراض النفسية والعصبية، من أين؟ فيلا في المعادي، وتزوج هدى، ما حجم هذا الألغار التي جعلت حياته جحيمًا.

تذكر تلك المفاتيح التي وجدها سابقا، مد يده في جيب البدلة فوجدها حيث وضعها، أخرجها تأملها بهدوء ثم أعادها لجيبه مرة أخرى.

وكان عليه أن يغادر الستوديو ليذهب ليتأكد بنفسه أنه لا يهلوس، وإلّا

غادر المكان بعد أن حرص على إخفاء الكاميرا العجيبة، واغلاق الستوديو جيدا.

بعد وقت قصير قابله الصمت والظلام بالخارج، ولكنه تحرك بهدوء غير خائف فما يحويه عقله الآن أشد ظلامًا.

* * * * *

ساعتان تقريبا منذ أن غادر عماد الستوديو، لم يتوقف عقله لحظة عن التفكير، كان قد اقترب من العنوان، كلمته هدى خلال الساعتين ثلاث مرات مكالمات مقتضبة لتعرف أين هو، ولماذا يتأخر كل هذا، أجابها كل مرة أنه في الطريق، استقبلته

في البداية عمارات الكمباوند الفارهة بمنظرها من بعيد، قابله حارسين قرب مدخل المدينة السكنية، سألا سائق التاكسي عن وجهته وعمن يبحث وعندما رأيا عماد، ابتسما وقام أحدهم بتحيته وهو يفتح للسائق الطريق، واضح أنهما يعرفانه!

أخيرا ظهرت منطقة الفيلات ثم وجد الفيلا أمامه، إنه رقم الفيلا كما قالته هدى، تعاظمت حيرة عماد لمرأى الفيلا، مستحيل!

منح السائق أجرته كما اتفقا، وراح يدور حول الفيلا قبل أن يقرر الدخول، كانت الفيلا من دورين ورووف، سور صغير أنيق من الخشب يدور حولها، حديقة صغيرة لا تقل عن مئة متر، وهناك جراج أيضا، وقف لعدة دقائق مترددا يدور حول الفيلا وهو لا يفهم، جاء رنين الهاتف مرة أخرى، كانت هدى، التي قالت له: لماذا يدور حول الفيلا ليأتي، فهي تراه منذ دقائق يدور حول الفيلا، قال إنه في طريقه فلتفتح له الباب، جاء صوت هدى متسائلًا

- أين مفاتيحك، لتفتح لنفسك، هيا إنني لم أنم منذ أمس.

فتش في جيبه فوجد تلك المفاتيح التي عثر عليها صباح أمس عندما كان في الاستوديو.

جرب مفتاحين قبل أن يستجيب له الباب ويفتح، استقبله بهو ضخم مفروش بأناقة، وسلم يؤدي على الدور الثاني، تطلع لبعض اللوح على الحائط والأساس المفروش وهو يكاد أن يسقط فاقد الوعي من فرط دهشته.

ثلاث حجر نوم اصطدمت عيناه بهم في الدور الثاني، وجد اثنتين مقفولتين، والثالثة بابها مواربا، اقترب منها بخطوات متئدة، دفع الباب برفق وهو ينظر للداخل، وهناك وجدها جالسة على حافة الفراش، ترتدى قميص نوم وعليه روب شفاف، كانت الحجرة دافئة، تطلع للفراش وللغرفة بعينين متسعتين تائهتين، وعادت عيناه لتستقرا على وجه هدى وعينيها المتسائلتين.

وجد مقعدا بجوار الفراش فالقى بجسده عليه وهو يطلق زفرة قوية، أخذت هدى تنظر إليه وتتأمله قبل أن تقول متسائلة:

- ما بك يا حياتي؟

تطلع عماد للسقف وهو يتساءل ببطء:

-كيف هذا؟

اقتربت هدى منه وهي تمسك يديه بين يديها وتقول:

- ما بك يا حبيبي، ما الذي يحدث؟ أين سيارتك لقد رأيت تلك

السيارة الأجرة وأنت تنزل منها؟

انطلقت ضحكة عالية من بين شفتي عماد، ضحكة أقرب للجنون وهو يضغط على يد هدى:

- سيارتي؟ أيضا لدي سيارة؟ كيف هذا؟

- عماد للمرة الأخيرة أسألك ما بك؟

أطلق ضحكة أخرى وهو ينظر لعينيها ويمسك يديها بين يديه قبل أن يقول ببطء:

- إنني لا أتذكر أي شيء حقيقة، لا أتذكر أننا تزوجنا، وهنا، كيف حدث هذا ومن أين؟ مؤكد أنت تعلمين حقيقة وضعي المالي منذ سنوات طويلة فكيف، كيف؟

- حبيبي، أنت متوتر، سأجلب لك كوبًا من العصير.

قال بصوت هادر:

- اجلسي وأحكي لي كل شيء منذ البداية، اجلسي.

النظرة المنطلقة من عيني عماد، جعلتها تنظر إليه بحيرة أكثر وهي تمتثل لأوامره.

- ما الذي تريد أن تعرفه يا حبيبي؟

- كل شيء، لا تغفلي أي حدث مهما كان بسيطا من وجهة

نظرك.

- لماذا كل هذا الغموض؟ للحظة أشك أننا في مسلسل بوليسي.

- هدى!

- لا تغضب سأقول لك كل شيء ترغبه ولكن لأعرف أولا ما الذي تريد أن أحكيه لك؟

- أول شيء كيف تزوجنا، وكيف نسكن هنا، ومن أين أتت لنا الأموال لنسكن في مكان كهذا؟ أحكي منذ غادرت المستشفى بعد مشاجرتي مع صبحي ابن الحاج توفيق الذي طردني من شقتي القديمة، بالضبط أحكي من هنا.

تطلعت له هدى وعيناها تتفحصان وجهه وهي تقول:

- لقد خرجت أنت من المستشفى ثم اختفيت لثلاث أسابيع ونصف تقريبًا حاولت أن أكلمك خلالهم ولكنك لم تكن تجيب وكان هاتفك في معظم الأحيان مغلقا، قبل أن تظهر فجأة أمام باب شقتنا في الأسبوع الرابع وأنت تحمل علبة كبيرة من الشيكولاتة وبوكيه من الورود، ظهورك أمام شقة أبي فجأة كان مفاجأة شلت تفكيري للحظة قبل أن تضع أن الورود في يدي وتزيحني عن طريقك وتدخل، وقعت عينا أبي عليك حينها فحيته بهدوء وجلست في الصالة بينما

وقفت أنا متسمرة حتى طلب أبي مني أن أعود لغرفتي، أمي دخلت لتسألني لماذا أتيت أنت فجأة هكذا، أنت تعلم أنني لم أكن أخفي عن أمي حبي وميلي لك وكيف كانت هي دوما في صفك بعكس أبي الذي كان يرى أن ظروفك صعبة، وفرصة زواجنا شبه مستحيلة خصوصًا بعد مرض أمك وملازمتها الفراش.

بلعت هدى ريقها ومدت يديها لكوب من الماء بجوارها ورشفته، وعماد يشير لها أن تكمل كلامها، وعيناه تقولان إنه يسمع هذا الحديث لأول مرة، فقال هدى:

- كان دخولك مفاجأة حقًا، المفاجأة الأكبر كانت أنك تطلب من أبي أن يزوجني لك في خلال ثلاثة أيام، كاد أبي أن يطردك حينذاك، ولكنك قلت إنك جهزت كل شيء تقريبا، ويستطيعون أن يأتوا ليشاهدوا بأنفسهم، كان هناك شخص بالأسفل ينتظرك بسيارة فارهة، قلت إنه بمثابة السائق لك، حاول أبي أن يثنيك عن تفكيرك وقال إنه غير جاهز، فقلت له ليأتي معك في مشوار صغير وبعدها يقرر، انصرفت أنت وأبي بعد أن دخل أبي لي حجرتي وقال لي إنني أحب مجنونا، سيتخلص منك ثم يعود ليكون دوري وحسابه معي، أنا الأخرى لم أكن أفهم أي شيء، بل ظننتك مصابًا بالهوس، لأنني بالفعل كنت أعلم أنك لم تكن تملك حتى ثمن علبة

الشيكولاتة التي أتيت بها آنذاك.

توقفت هدى ونظرت لعيني عماد الذاهلتين وهي تقول:

- هل أجلب لك شيئًا تشربه يا حبيبي؟

- أكملي حديثك.

ملست هدى على شعرها بيدها وأطلقت تنهيدة حائرة قبل أن تقول:

- لقد غاب أبي كثيرا بعد خروجه معك، حاولت الاتصال به حينذاك عدة مرات، ولكنه لم يكن يجيب ويرفض المكالمة، وبعد حوالي ستّ ساعات تقريبًا، عاد أبي كان منهك القوى، وكانت الساعة تقترب من الواحد صباحا، طلب مني أن أعد له كوبا من الشاي وأن أجيء به لغرفته لأنه يريد أن يكلمني أنا وأمي، حقيقة كنت أشعر أن هناك مشكلة كبيرة قد حدثت، وأن أبي سيفرض عليّ ألاّ أكلمك أو أشوفك مرة أخرى، وكنت أعد بعض الحجج التي اعتدت أن أقولها له في مثل هذا الموقف، ربت على كتفي بعدما وضعت كوب الشاي أمامه وحاولت أن أنطق ولكنه استوقفني وهو يقول مبارك عليك، زفافك بعد أسبوع، جهزي نفسك، وقفت متسمرة أمامه وأنا لا أفهم أي شيء فمد يده في جيبه وهو يخرج عقد مكتوب باسمي ومفاتيح من جيبه، قائلا لي: مفاتيح فيلتك الجديدة،

وهي باسمك، مبارك، العنوان في العقد خذي أمك وأخواتك غدا واذهبي لترى إذا كان ينقصها شيء، ولكنني أظن إنها كاملة من كل شيء، نظرت إليه كفتاة تركها أبيها في السيرك وسط الوحوش وحدها، متسائلة بعد فترة صمت مني وتساؤلات أمي الكثيرة، فيلا من ولماذا وكيف، قال إن عماد اشتراها وكتبها باسمي كهدية زفاف، سألته بالطبع من أين هبطت عليك تلك الثروة العجيبة فجأة، فقال لي أبي ما قلته أنت له تحديدا وكان مصدقه بالفعل أو لديه الرغبة لتصديقه ليسعدني، وبرغم شكي في الأمر ولكن ما المانع لأصدقه أنا أيضا، لقد ماتت أمك وتركت لك مفاتيح شقة جدك التي تركها منذ زمن، في الشقة وجدت أنت بعد بحثك في أشياء جدك، عقود شراء لقطع أرض كبيرة منذ فترات بعيدة، وعندما ذهبت لمعاينة الأرض الموجودة في العناوين وجدت لافتة إنها ملك لجدك وليست للبيع، تعجبت كيف لم يخبر أمك وقتها ولكنه كان في خلاف مع أبيك قبل موته، قطع الأرض كانت تساوي ملايين، فبعتها بعد إعلان الوراثة الذي يثبت أنك الوريث الوحيد لجدك وأنك جهزت الفيلا للزواج وكتبتها باسمي، بخلاف سيارتك، وأخبرته أنك تجهز مكتب للعقارات ليكون هذا استمارك في باقي الميراث، وقلت لأبي أنك ستشتري لي سيارة بعد أن أتعلم القيادة، لعلمك لم تأت لي بالسيارة حتى الآن وأنا غاضبة.

أطلقت هدى ضحكة حاولت أن تجعلها رائقة وهي تستكمل بدلال:

- متى ستأتي لي بالسيارة؟

- هل هذا كل شيء؟

- لا شيء آخر سوى الفرح الذي كان مبهرا ليّ ولعائلتي، ولأصدقائك أيضا، والعصير الذي أرغب أن أعده لك الآن، ماذا قلت؟

ثم نظرت هدى لعينيه لثوان قبل أن تقول:

- عماد أنك حقا لا تتذكر، عيناك تقولان إنك لم تكن تدري أي شيء عما قلته لك، مستحيل!

وضعت رأسه على كتفها وهي تحتضنه قائلة:

- عماد، حبيبي، يجب أن تذهب لدكتور.

- إنني لست مجنونا، ولكن هناك أكثر من شهرين من حياتي لا أعرف عنهم أي شيء، وما أتذكره مجرد أشياء يؤدي تصديقي لها للجنون حقًا.

ربتت هدى على كتفه وهي تطبع قبلة على جبينه، فقال عماد بتعب:

-أحتاج للنوم، سأنام قليلا، ربما، ربما.

لم يكمل كلامه وهو يخلع الخذاء ويرتمي بملابسه على السرير، ظلت هدى جالسة بجواره تتطلع إليه بخوف وقلق وهي لا تدري ما الذي يخبئه الغد لها، الأمر غير مطمئن على أية حال.

* * * * *

(١٠)

تململ عماد في الفراش، كان من الجليّ أنه في طريقه ليصحو، فتح عينيه بعد هنيهة، نظر حوله في ذهول، ثم راق وجهه، إنه يتذكر لقد أتى أمس لهنا وقابل هدى، وسمع ما سمع من حكايته معها، ثم نام، طاردته كوابيس عديدة جعلت نومه جحيما.

لا أثر لهدى في الغرفة، طقطق عضلات رقبته وهو يسحب جسده ليسند ظهره على خلفية الفراش، كان يشعر بالجوع، كان ما يزال بملابسه، مد يده والتقط البذلة وأخرج الهاتف المحمول ليرى الساعة، كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عصرًا، لقد نام برغم الكوابيس.

لم يعرف ما الذي عليه فعله الآن، ولكنه وجد نفسه ينادي على هدى بصوت ضعيف في البداية، قبل أن يرفع صوته لأعلى، لم يتلق ردا، وعندما هم بمغادرة الفراش وجد باب الغرفة يفتح وهي تدخل، كانت قد غيرت ملابسها وكانت ترتدي سروال جينز وتيشرت قصير وكانت عيناها تلمعان وهي تنظر تجاهه في حب وتجلس قبالته، قالت وهي تطبع قبلة على خده:

- هيا أيها الكسول، الحمام جاهز، لقد أعددت لك طعاما

سيعجبك، هيا إلى الحمام أولا، لقد وضعت لك الترنج بالداخل حتى تجلس براحتك بدلا من التكتيفة التي نمت بها أمس، هيا تحرك.

سحبته من يده ثم تأبطت يده وهي تمشي بحذائه وقد اسندت رأسها على كتفه، أمام باب الحمام تركته وقالت إنها في المطبخ ستذهب لتنهي ما بدأته.

لم تمر نصف ساعة حتى كان عماد يجلس قبالتها على مائدة الطعام، كانت رائحة الطعام مثيرة، والمذاق رائع، هناك صفاء في كل شيء، لم ينطق عماد خمس جمل كاملة، كان يكتفي بهزّ رأسه وهي تسأله عن أشياء وتطرح أفكار وحلول حول أشياء هو لا يعرف عنها أي شيء حتى الآن، في النهاية وعندما كانت ترفع الصحون سألها بصوت هادئ:

- ما الذي أفعله في العادي منذ زواجنا.

تطلعت لعينيه اللتين يظهر عليهما الإرهاق وهي تقول:

- هل ما زلت تحت حالة أمس؟ لا تتذكر حقًا؟

- أرجوكي أجيبني.

- ليس الكثير، في الأسابيع الأخيرة كنت في الصباح تغادر تقريبًا في التاسعة، تعود في الثالثة مساء، نتناول غداءنا، ثم تصعد لغرفة المكتب فوق في الرووف، تغيب بداخلها من

ثلاث لأربع ساعات، وتطلب مني ألاّ أقاطعك حتى لو قلب العالم، حقيقة حتى الآن أنت تمنعني من الاقتراب من المكتب وتغلقه دوما بالمفاتيح قبل مغادرتك، ولا أفهم لماذ؟

سكتت هدى لهنيهة فقال عماد:

- أكملي لو سمحتِ.

- تنزل في الغالب من فوق في التاسعة مساء، تطلب العشاء ونجلس سويا ساعة قبل أن تقول لي أنك ستغادر بعد أن يطلبك شخص أظن أن اسمه سعد،تغادر في العاشرة تقريبا وتعود بعد منتصف الليل غالبا في الواحدة صباحا أو الثانية صباحا على أكثر تقدير.

- ألم أقل لك إلى أين كنت أذهب؟

- من أول يوم زواجنا حذرتني أن أسألك عن أي تفاصيل تخص طبيعة عملك، وأنا حقيقة لم أرغب في تعكير صفو حبنا فلم أسأل عن ذلك.

- أين مفاتيح المكتب؟

- في سلسلة مفاتيحك؟ أنني لا أقترب من مفاتيحك أيضا كما حذرتني، أشياءك الخاصة لا ترغب بأن تمتد إليها أي يد حتى يدي، لا تنظر ليّ هكذا، أنت أيضا تغيرت عن عماد الذي عرفته أصبحت أشد صرامة وحزم، ولكنك لم تفقد رقتك وحنانك

نحوي حتى لا أظلمك.

أطلقت هدى ضحكة رائقة، بينما تحرك عماد لغرفة النوم وأخذ مفاتيح المكتب في الرووف، وقال لها قبل أن يصعد إنه يرغب بألا يزعجه أي إنسان مهما كان.

أتت كلماتها وصوتها رائقا وهي ترد ها أنت عدت لطبيعتك، فلماذا تدعي النسيان.

جرب مفتاح في باب غرفة المكتب فسمع تكة المزلاج من أول مرة، فدفع الباب برفق وهو يدخل، كانت هناك في مواجهته بجوار الحائط على اليسار بمجرد دخولة خزينة حديدية ضخمة تحتل جانبًا كاملًا تقريبا، وكنبة صغيرة عليها لاب توب حديث، ومائدة في المنتصف عليها ما يشبه الخريطة، بينما عدة كراسي متناثرة في المكان، ومكتب صغير لا يتجاوز المتر في أحد الجوانب، لا يوجد نافذة للغرفة، الحائط مصمت، الباب فقط هو من يؤدي للمكتب ولا أحد يستطيع أن يخرج أو يدخل إلا منه.

أغلق الباب وأضاء النور، حاول أن يتذكر أي شيء عن حياته في تلك الفيلا، ولكن إلى تلك اللحظة لم يكن يتذكر أي شيء، وكان عليه البحث عن شيء ينشط ذاكرته، إنه يشعر بصدق أنه تحول لشخص آخر لا يعرف عنه أي شيء، شخص الغموض أصبح حياته دون منطق ودون تعمد.

الخريطة التي أمامه كانت لفيلا ما، وكان هناك نقط واشارات وأسهم لا يفهم منها أي شيء، كان عليه أن يفتح تلك الخزينة الحديدية، بحث في سلسلة مفاتيحه عن مفتاح يناسبها، دفع المفتاح ونظر للقرص الذي يحمل الأرقام متمهلًا، ما الرقم السري للخزينة، إنه لا يتذكر بالطبع.

وسأل نفسه لو كان يملك خزينة في يومًا ما فما الرقم السري الذي سيختاره لها، جرب رقم هاتفه المحمول فلم يحدث شيء ولم تفتح الخزينة، جرب عيد ميلاده ولكن الخزينة لم تستجب، ظل في حيرته لفترة جرب تقريبا كل ما خطر في باله يوم معرفته بهدى، ويوم زفافهم الذي قالت له عليه، ورقم شقتهم وعمارته القديمة، في النهاية لم يجد أمامه سوى أن يكتب تاريخ وفاة أمه، هذه المرة فتحت الخزينة، تطلع بداخلها وامتقع وجهه بشدة، فأمام عينيه كانت تتراص نقود بلا عدد وكلها تقريبًا من فئة المئتين جنيه، هذا بخلاف جانب من الدولارات في يسار الخزينة، كانت الخزينة من الداخل عبارة عن صفين العلوي كان ملئ بالأموال، والأسفل كان ملئ بكتب صفراء غريبة وأوراق ممزقة، وجد نفسه يمد يده ويسحب تلك الكتب الصفراء الضخمة وينظر لعناوينها الغريبة، السحر الأحمر، المندل والخاتم، سحر بارنوخ، شمس المعارف الكبرى، سحر الجريموار، السحر الفرعوني، السحر

العلوي والسحر الابيض، رسائل ابن عربي وابن سينا، سحر الأنوار وجامع الاسرار، رسائل ابن سبعين، تسخير الجان ورسائل النسيان، السحر الأسود،وكتب أخرى دون عناوين تأكلت أطرافها وطمست معالم عناوينها، الذي جعله يرتد للخلف لقد لمحها خلف الكتب، تلك الجمجمة، كانت مستقرة داخل الخزينة خلف الكتب وكأنها تنتظر شيء ما وفوق الجمجمة كان هناك سلسلة عجيبة بنجمة غريبة الشكل، وشعر لوهلة وكأن الجمجمة تنظر باتجاهه وخلفها لمح تلك الحقيبة الجلدية وشعر أنه يعرفها ولكنه جفل ولم يمد يده ناحيته متوجسًا خيفة مما قد يجده بداخلها.

أي عبث هذا الذي يراه أمامه، هل كان يمارس السحر، متى وكيف؟

كان عليه أن يواجه نفسه ويرى كل ما يظهر أمامه بعين أخرى، لمح تلك الورقات المقطوعة بطريقة مميزة، بالطبع أنه يتذكر هذا الخط فلم يمر وقت حتى ينساه إنه خط جده.

بل هذه الأوراق باق مفكرة الجد، لماذا نزعها هي تحديدًا، مؤكد هناك سبب لكل هذا.

راحت عيناه تتأمل السطور وبداخله يرتجف، وشعر بالأدرينالين يتدفق في جسده بدرجة مرعبة .

* * * * *

وقف عماد في غرفة المكتب يتأمل تلك الأوراق الصفراء بين يديه، ثم يعود بناظريه إلى الخزينة الممتلئ بالأموال، وعقله مشتعل، أخيرا حاول أن ينظم تفكيره ويتطلع مرة أخرى لأوراق الجد ويعيد تنظيمها، وقراءتها.

«عزيزي عماد، لعلك تتساءل كيف عرفت أنك في يوما ما ستقرأ ما أكتبه الآن، هذا شيء من الصعب شرحه لك ولكن لأقل إنه حدسي الذي أخبرني أن في يوم ما ستقع تلك الأوراق في يدك أنت بالذات، أنت مثلي حافظ للسر، الموعود بالوراثة، أنت صاحب الحق في ميراثنا، أين توقفت! بل تذكرت لقد تحولت حياتي لجحيم بعدما عرفت ما تفعله هذه الكاميرا، أن هذه الكاميرا تحمل سر الأسرار، بل سر السحرة القدماء، فالأمر لم يكن فيها بل في العدسات، التي راحت تنتقل من يد ليد، وأتمنى أن تكون وصلت ليدك الآن، بعد هروب إيفان، رحت أجري تجاربي المجنونة، وكان عليّ أن أومن بالسر، والسحر، طوفت كل المكتبات القديمة والحديثة، اشتريت كتب من السحر بكل اللغات، كان عليّ أن أواصل الأمر، وقتها بدأوا يأتون، كنت أعرف أنهم سيأتون في يوم ما، ما الذي حركهم ودفعهم للمجيء إليّ، سر اللعنة التي لم أتوصل إليه برغم قراءاتي في كل كتب السحر، كانوا يأتون

أظن أنني من أبحث عنهم لأصدق أن ما حدث لم يكن وهما، ولكن الأمر تكرر، عندما وجدته يخبط على باب الأستوديو، ويطلب مني أن التقط له بعض الصور، كان شابا طبيعيا في الخامسة والعشرين أو أقل سألته عن الغرض من التصوير، فقال إنه يحب أن يلتقط بعض الصور لنفسه من حين لآخر، وجهه الشاحب وهيئته جعلتني أشك أنه يعد العدة لأمر ما، وقتها التقطت تلك الصور له بالكاميرا المعتادة، وشيء ما دفعني لأجرب الكاميرا الأخرى الملعونة، وبمجرد أن حاولت أن التقط بها صورًا، كنت أرى صورًا مختلفة له، لم يكن الوجه وجه بشري، بل كان وجه أقرب للوطواط، بانيابه البارزة، وخيل إليّ أن الفتى قد ظهر له جناحان ودقيقة وسينقض عليّ، ليغرس أنيابه في عنقي ويمتص دمائي، بلى أنني أكلمك عن مصاص دماء، مصاص دماء جاء لكي التقط له بعض الصور، وعندما رفعت عيني عن العدسة كان الشاب كما هو في مكانه يقف منتظرا، كنت قد قرأت عن مصاص الدماء وعرفت بعض أشياء عن الثوم، والوتد الخشبي وما شابه، لكن ذلك بالطبع لم يكن يكفي، طلبت منه أن يجلس حتى التقط له صورا أخرى في وضع الجلوس، ثم هبطت من أعلى الاستوديو وأخبرته أنني سأتي بخام فيلم جديد، وعدت لفوق كان كما تركته كما هو يجلس منتظرا، اقتربت من ظهره وعدلت وضعه على الكرسي وأنا أطلب منه إلاّ يتحرك،

ومددت يدي للخلف ونزعت ذاك السكين الذي كنت قد جلبته من أسفله ورفعته رأسه ناحيتي، جفل الفتي وحاول الوقوف ولكن يدي قبضت على رأسه بينما يدي الأخرى تجز العنق، حتى فصلت رأسه تماما عن جسده، لا وقت لأحشو فمه بالثوم أو أدق وتد خشبي في قلبه، مصاص الدماء هو شخص ميت قبل أن يجيء لي، فما ارتكبته لا يمثل جريمة قتل، وقتها واجهت الأمر الأصعب التخلص من الجثة، وعرفت إنهم سيأتون تباعا لذا أخترت أن أغير مكان الاستوديو يجب علي أن أبحث عن مكان بعيد قريب من المقابر، واشتري مقبرة ليّ، من السهل أن أشتري مقبرة، حقيقة يجب أن اعترف لك الآن إنني كنت مخطئ بشأن الشاب، فالصور عن تحميضها، تلك الصور التي التقطها بالكاميرا الملعونة لم تكن سوى صور عادية لشاب عادي يحاول أن يبدو بشوش الوجه ويبدو أنه مرهق، حتى عندما اعتدت تحميض الصور بتلك الدماء التي خزنتها من دماء الفتى المذبوح واجهت نفس النتيجة، عرفت وقتها أن هوسي وجنوني وشكي جعلوني شخصا مجنون بل قاتلا سفاحا بلا شك، من يجز عنق شاب لمجرد الشك إنه قد يكون مصاص دماء هو قاتل، هكذا كنت أنا وقتها، فحصت أسنان الفتى وجدتها أسنان عادية ولا وجود للنابين، وقلت لنفسي حينها شيء من الاثنين أما أن يكون جنوني أو أن شيطان تلك الكاميرا يداعبني، هذا بالطبع قبل أن يظهروا

تباعًا، من هم، سأقول لك بالتأكيد، ولكن المهم الآن أنني بدأت في فقدان الذاكرة شيئًا فشيئًا ولن يمر وقت طويل حتى يصبح عقلي صفحة بيضاء.

انتقلت بالفعل إلى قطعة الأرض التي اشتريتها بجوار المقابر، وبدأت في بناء الاستوديو الخاص بي، لم تكن معي أموال كافية، فلم يكن أمامي إلا أن أطلب من إيفان، إيفان ظن أنني أهدده فأرسل إلي الأموال التي طلبتها، بل وعاد إرسال مبلغ آخر كتعويض على اشراكي في جريمة قتل، ربما كان يحس بتأنيب الضمير، وبدأوا يفدون إلي بعد هذا في الاستوديو، نداهة وتأتي لتلتقط صورة لها، هل تتصور هذا، لا وقت لأحكي لك قصتها الآن، عكفت على كتب السحر وتحول الاستوديو إلى مجزر أقرب منه لاستوديو تصوير، وكان عليّ أن أتخلص من بقايا الجثث يوما بيوم، البعض يعودون مرة أخرى لألتقط صورهم برغم أنني متأكد أن ذلك الزومبي قد قتلته من قبل عدة مرات ولكنه في كل مرة يعود، ويصر أن التقط له صور مميزة، بالطبع لم يكونوا يأتون بهيئتهم الوحشية بل كانوا يجيئون كبشر عاديين لا اختلاف يذكر بينهم وبين أي إنسان، تقول لنفسك الآن إن جدي مجنون، ولكنك لن تصدق إلا بعد أن تعرف كيف يتم تحميض تلك الأفلام لا بدّ من دماء طازجة لشخص أشرف على الموت إو في طريقه للموت، خذ حزرك، فالداء والدواء في نفس

الشيء، فسحر العدسة قد يجعل هذا الشخص يشفى من جراحه إذا لم تقتله، وقتها قد يتحول لشخص آخر غير نفسه، فسحر هذه العدسات يفوق أي سحر قرأت عنه في كل كتب السحر، خذ حذرك يا عزيزي، لفترة بدأت خطواتهم تخف أخيرا، فلم يعد يزورني مصاص دماء أو زومبي أو نداهة، توجست خيفة ألاّ يعودون كنت قد أدمنت الأمر لدرجة الهوس.

لم أعرف لماذا توقفوا عن المجيء هل عرفوا أن سحر عدسات الكاميرا يسلبهم إرادتهم ولا يستطيعون مقاومته؟ فيبدو الأمر وكأني قد تحولت لعشماوي ينفذ فيهم أمر الإعدام، المهم لم أعد أراهم ولم يعودوا لزيارتي. هذا سبب لي اكتئاب رهيب، اكتئاب جاء من عشقي في قطع الأعناق ودفن الجثث، أن تسحب كل فترة جثة لتضعها في مقبرة فهذا شيء ممتع لا يشعر به إلا من جربه، تستطيع أن تسأل أي تربي هل يعشق عمله أم لا، وقتها سيجيبك بالتأكيد يعشقه، بينه وبين عمله عشرة طويلة، حاولت استخدام السحر ليعودوا لزيارتي، ولكن من الواضح أن هناك شيئًا يمنعهم من المجيء، شيء أقوى مني، ثم اكتشفت بغتة أنني شخص مسرف، فقد اسرفت في استخدام خام الأفلام، وكان عليّ أن أعيد ترتيب الأمر، وأن لا التقط صورة إلاّ وأنا متأكد أنها لشخص غير طبيعي، سنوات كثيرة مرت دون جديد، لا شيء

يحدث ولا هم يظهرون، استسلمت في النهاية، ولكني ظللت محتفظ بكتب السحر والكاميرا والعدسات الملعونة، حتى جاء يوم تلك الحفلة، لم أكن أعرف أنني دخلت بيتهم بنفسي، ولا أعرف كيف وصل صيتي كمصور إليهم، ربما كانوا يجربون هل استطيع أن أصل إليهم، يومها التقط الصور، وهربت، فالسن لم تكن تسمح بأكثر من هذا حينها، وخصوصا أنني بدأت أشك في ذكرياتي وذاكرتي، وأشك أن ما حكيته لك ربما كانت هلاوس شخص مجنون.

تابعت بحثي عن تاريخ العدسات الرهيبة، قرأت الكثير بعضه صدقته، وبعضه اعتبرته جنونا، وفي النهاية قررت التوقف نهائيًا عن المتابعة والهروب، بل شعرت أن القتل نفسه لم يعد له مبرر، خصوصًا بعدما انتهت كل خامات الأفلام ولم يعد لدي الرغبة في تحميض صورهم، ولكنهم أدركوا وجودي وشعروا به أنني أعرف هذا رأيته في عيونهم، قد أكون واهمًا، ولكن، إنني أسمع صوتًا يقترب، سأعود لأحكي لك يا عزيزي لكن سأذهب لأرى من على الباب ويدق بهذه الصورة الآن».

توقف عماد عن القراءة، وراح يحاول استعادة هدوئه وهو ينظر خلفه، للحظة شعر بشيء خلفه عندما التفت لم يجد أحدا، أطلق زفرة مسموعة وهو يقول لنفسه إنه بدأ يشعر بالتوتر والرعب ويجب أن يتذكر هو ما حدث له وإلاّ سيجن،

مد يده ببطء داخل الخزينة ناحية تلك الحقيبة الصغيرة وسحبها ببطء شديد في حذر ألا تمس يده تلك الجمجمة، فتح الحقيبة فاصطدمت عيناه بالعدسات وتلك الكاميرا غريبة الشكل بالداخل، إنه يتذكر أنه رأى كاميرا تشبها في استوديو جده ولكنه لم يأت بها لهنا، أهما كاميرتان؟ تساءل وهو يشعر بملمس العدسات تحت يده بصورة جعلت رعدة تسري في جسده، هل هذه العدسات التي ذكرها جده في خطابه، وتلك هي الكاميرا، ما الذي أتى بهذه الأشياء لهنا، وراح يحاول أن يتذكر دون فائدة والضباب يلف عقله.

*****

مرت ساعات وعماد منكب على تقليب كل شيء في غرفة المكتب، رن هاتفه مرتين، كانت هدى لم ترد أن تزعجه ولكنها تخبره أن الطعام جاهز وهي جائعة والساعة تقترب من السابعة مساء، وجد نفسه في النهاية يغلق الخزينة على ما بها بعدما أعاد إليها كل شيء أخرجه من داخلها، وغادر الغرفة والتوتر يصحب خطواته.

استقبلته هدى بابتسامة رقيقة وطبعت قبلة على خديه وهي تسحبه من يده ليتناولا الطعام، لم يكن لديه رغبة في الحديث، بينما هي تحاول أن تفهم ما يحدث، راحت تتحدث كثيرا في أشياء لا تشغل رأسه الآن، وعندما انتهى من طعامه،

وقف وقد قرر الخروج، لمح القلق باد على ملامح هدى ولكنه طمئنها أنه بخير وسيعود في أسرع وقت، لم يكن يعرف لماذا يريد الخروج، ولكن شيئا بداخله كان يقول له إن وجوده هنا خطر على هدى، خصوصا بعد محاولة القتل التي تعرض لها في المقابر، فتح دولاب الملابس وجد عدة بدل حديثة وقمصان جديدة لم يمس معظمها ما زالت في أكياسها وأحذية باهظة الثمن.

بعد عدة دقائق كان يهبط السلالم وقد غير ملابسه وتأنق بصورة واضحة، وضع مفاتيح الأستوديو في جيب البذلة الداكنة ذات التصميم الايطالي التي اختارها، وأخذ المفاتيح الخاصة به الأخرى وهاتفه المحمول أيضا.

ودع هدى بقبلة على جبينها وكأنه يشعر أنه لهذه اللحظة ليس له الحق في تقبيلها على شفتيها، وغادر مسرعا، سألته هدى قبل أن يغادر عن سيارته، فهزّ رأسه ولم يجب وغادر وهو يعطيها الفرصة أن تفهم هزة رأسه بالطريقة التي تحلو لها ودعته هي بنظراتها الحائرة وكان هو يشعر بالحيرة بالمثل.

وأطلقت هدى تنهيدة عميقة وهو يغادر المكان وكان هناك دموع تترقرق في عينيها وهي تتساءل بداخلها عما جرى لحبيبها.

هذه المرة كان عماد يعرف أن ثمة مشوارا يجب أن يتم قبل ذهابه للاستوديو.

مشوار قد يجعله يصدق كل شيء في مذكرات جده أو يرفضه تمامًا، وكان الساعة تقترب من التاسعة مساء.

* * * * *

مرت فترة طويلة وعماد يقف منتظر شخصا ما، كان يحاول أن يطرد من عقله كل هذا الضباب الذي يكتنفه، ويحاول أن يقنع نفسه أنه لم يصل بعد لمرحلة الهذيان.

كانت هناك ورقة صفراء في جيب بذلته حفظ تفاصيلها جيدًا، فأخرجها من جيبه وألقى عليها نظرة أخيرة قبل أن يضعها في جيبه مرة أخرى وقد تأكد أنه حفظ كل شيء من التخطيط البسيط المرسوم على الورقة، وأخيرا كان هناك ظل لشبح يقترب من المكان، الظلام يسيطر على كل شيء، وثمة غموض غريب يحيط بعماد وذاك الشخص الذي أصبح أمامه في تلك اللحظة وهو يقول ببساطة:

- عذرا لتأخيري عليك أستاذ عماد.

كان المتكلم هو سعد خميس كما عرفناه، وكان يمسك في يد كشافين إضاءة كبير وفي اليد الأخرى رافعة حديدية يسميها العامة «عتلة»، مد يده بكشاف إلى عماد فأخذه بهدوء وتأكد

أنه يعمل.

قال عماد بهدوء:

- ليس مهم، المهم أنك وصلت في النهاية، هيا بنا.

قال سعد خميس وهو يتحرك خلف عماد:

- هل الأمر ضروري لنأتي إلى المقابر في هذه الساعة من الليل؟

عذرا لم أقل لكم أننا نقف بجوار سور المقابر القريبة من الاستوديو الخاص بالجد.

رد عماد وهو يتطلع حوله في توجس:

- نعم مهم ليّ.

- ما دام مهم لك، فهو مهم لي أنا بالمثل، فأفضالك عليّ حتى الآن كثيرة جدًا أكثر مما كنت أتخيل.

- لا وقت نضيعه في الكلام هيا.

مستسلما تابعه سعد خميس، بعد عشرين دقيقة تقريبًا من المشي وسط المقابر في ذاك الظلام المدلهم، ظهرت أمامهم تلك المقبرة المحاطة بسور وبوابة حديدية، كانت بعيدة عن المقابر الأخرى وتبدو منزوية، وكأن من اشتراها وبناها كان يريد أن تبعد عن عين الفضوليين.

دومة الكتب حرامية

كان هناك سلسلة ضخمة بقفل كبير يغلق البوابة الحديدية، قال عماد لسعد أن يكسر القفل، ولكن بهدوء وحرص، بعد دقيقتين تقريبًا انكسر القفل، وبدأ فسخ الباب الحديدي بواسطة الرافعة الحديدية، وبعد هنيهة بدآ في دفع الباب سويا، كان صوت صرير الباب مزعجًا وعاليًا، ولم يكن هناك قلق أن يصل الصوت لأحد فمن يجازف أن يأتي إلى تلك المنطقة من المقابر في مثل تلك الساعة، أخيرًا وقفا بالداخل أمام ذلك القبر المقفول، فتحته بباب حجري صغير، دفع سعد الرافعة الحديدية وراح يزيح الأسمنت المحيط بالباب الحجري، وبعد دقائق كان قد انتهى، وظهرت له سلالم خلف الباب تهبط لأسفل، قال سعد متسائلًا:

- هل تظن حقًا أنك ستجد ما تبحث عنه هنا؟ أن هذه المقبرة مختلفة عن بقية المقابر وغريبة الشكل.

أشار له عماد أن يصمت وهو يهبط أول درجة من السلم، وتبعه سعد بعد هنيهة مستسلمًا للأمر.

بعد عشر درجات حجرية استوت الأرض تحت أقدامهم، وجه عماد كشافه لداخل المكان، حاول سعد أن يتكلم ولكن وقفت الكلمات في حلقه، فما كان أمامه مثيرا بحق، ما الذي توقع أن يجده سعد بالداخل، جثث، بالطبع ولكن ليس بهذه الصورة وهذا الشكل، فليس هناك كفن واحد لجثة، بل مجرد هياكل

دودة الكتب مراجعة

عظمية كثيرة متناثرة في المكان، وجماجم، والأكثر أثارة للدهشة أن هذه الهياكل العظمية كانت بملابسها، وبرغم أن الملابس أصبحت متهرئة، ولكن كانت تدل إن لا تميز داخل تلك المقبرة فهناك هياكل عظمية بملابس نساء وأخرى بملابس رجالي، وكان هناك صندوق أسود غريب الشكل في منتصف المقبرة وبجواره هيكل عظمي يقبض تقريبا بسلميات يده على الصندوق.

بلع سعد ريقه وهو يتراجع خطوة للخلف وينظر لعماد الذي اتسعت عيناه بالمثل، كان عماد في هذه اللحظة يحمل الرافعة الحديدية في يده وينظر تجاه سعد بنظرات مخيفة مرعبة فقد كان يتذكر كل شيء حدث خلال الشهرين السابقين وبمنتهى الدقة، فقال سعد متسائلا وهو يحاول أن أن يفسر نظرات عماد تجاهه:

- ماذا؟

كانت يد عماد في تلك اللحظة ترتفع بالرافعة الحديدية لأعلى، ورآها سعد تهبط من أعلى، لكن لم يكن لديه الوقت ليتراجع للوراء، وأدرك إنها النهاية له.

* * * * *

خاتمة (١)

غادة عبد العظيم تتحرك بتؤدة بجوارها عماد، كانت متألقة ترتدي ثوبًا كاشفا يبرز مفاتنها كان تشع جمالًا، وكان عماد متأنقا هو الآخر، إنه موعد الحفلة الشهرية في القصر الكبير، حيث لم تأت غادة لهنا منذ زمن، كانت قد طلبت دعوة لها ودعوة لصديق، كانت تعلم أنها يحق لها إن تأتي بصديق معها ولكن هذا الصديق سيكون دخوله للمكان غير خروجه بالمرة، القصر يلمع في الأضواء، غادة تمشي وهي توزع ابتسامتها على الحضور، بعض النظرات الفضولية من كانت الحاضرين ناحية عماد، فيبتسم في وجوههم ويرونه يتأبط ذراع غادة، فيعودوا لنقاشتهم وصخبهم، من كان يتصور أن يدخل عماد هذا القصر، هو نفسه لم يكن يخطر بخياله قطّ أن يكون هنا.

كان ذهنه صافيا، وكان يجاهد إلاّ يبدو على وجهه التوتر، فهو يعرف أين هو حقًا، عاهد نفسه إلا تمس شفتاه أي شراب داخل الحفل، فهو يعرف حقيقة المشروبات التي تقدم بالتأكيد، تلك المشروبات الأقرب لفاتح شهية، ولكنها فاتح شهية مميت وخطر.

رآه واقف هناك بجوار أشرف جلال، أنه صديقه سامح، لمحه سامح من مكانه فانطلقت الدهشة من عينيه، اقترب عماد في تحدٍ منهما ووقف أمام أشرف وسامح ومد يده بالسلام.

تقلص وجه أشرف جلال، ولكن بعد هنيهة اتسعت ابتسامته وهو يربت على يد عماد قائلًا:

- إذن لقد قررت أن تكون منا، إنها مفاجأة حقًا.

تنحنح سامح وهو يقول:

- آسف يا صديقي، الإغراء كان أقوى من صداقتنا.

ابتسم عماد وهو يدرك أن سامح كان يراقبه عندما قابله في المقابر منذ فترة، وأنه كان مشتركًا في محاولة قتله ووضع يده على كتف سامح وهو يقول:

- أعلم.

وجه عماد كلامه لأشرف:

- أتمنى أن تتوقف عن محاولة قتلي الآن.

- لقد اتعبتني بشدة في البحث عنك ولولا الصدفة ما عرفت سامح صديقك ولا اقنعته بالانضمام إليّ، وكثيرا ما حاول أن يرجعني عن محاولة قتلك.

ابتسم عماد وهو يقول:

- طول عمر سامح صديق مخلص،، أعذره بالطبع.

- أنت تعرف أن ما كان يحميك مني ليس الصور، شيء آخر

سحري، أراك ما زلت تحمله على صدرك.

تأمل عماد تلك السلسلة بنجمتها حول رقبته فأومأ وهو يبتسم.

جاءت غادة في تلك اللحظة لتقطع محادثتهم فقال عماد وهو يربت على كتفها برفق.

- وهل هناك سحر أكثر من هذا.

بعد دقائق تبادلوها في كلمات عابثة وضحكات تحرك عماد مستأذنًا.

راح الوقت يمضي قبل أن يظهر الكبير ويأخذ مكانه على حمام السباحة، كان منظره مثيرًا، تطلع للجمع ولاحظ عماد أنهم يحيونه تحية أقرب للركوع منها للتحية العادية، وبدأ الحفل الحقيقي، كان عماد قد تخلص من المشروبات التي كان يوزعها النادل على الحاضرين، وعندما انطفأت الأنوار بغتة بأشارة من يد الكبير وبدأت حركة مريبة تأتي من خلفه، رجال نصف عراه يدفعون أمامهم أقفاص حديدية، بها فتيات شبه غائبات عن الوعي، وقتها ضغط عماد على هاتفه المحمول، وانتظر وهو يراقب الرجال، بدأت أصوات الزمجرة تعلو، حتى غادة برز لها نابان بغتة في فمها وتلون وجهها بلون غريب، وبدأ زبد يتساقط من شدقيها.

في نفس اللحظة ارتفعت صوت قوي وكأنه انفجار بغتة، مع صوت طلقات نار، التفت العيون تجاه الصوت، كان سور الفيلا القريب من حمام السباحة ينهار، بينما هناك بلدوز ضخم يحطم السور، لمح عماد السائق واتسعت ابتسامته، عندما رأى المهاجمين، كان من يقود البلدوز هو سعد خميس، الذي بمجرد أن حطم السور العالي للفيلا حتى قفز من البلدوز وترك البلدوز يواصل طريقه، في اللحظة التالية كانت هناك سكينة ضخمة في يد عماد، نظرت له غادة بذهول قبل أن يغرس السكين في عنقها قالت بذهول والدماء تنفجر من عنقها:

- أنت؟ لماذا؟

لم يكن لديه وقت ليجيبها وهو يفصل رأسها عن جسدها، لقد أثبت سعد خميس ولاءه وقدراته لأقصى حد، فخلف البلدوزر كانت هناك عربتان نقل محملتان بالرجال، كانت الأوامر صريحة للرجال، لا أحد يخرج حيّ من داخل القصر، وكان الأمر غير المفهوم بالنسبة لهم هي جز أعناق الجميع بالداخل، ولكن المبلغ الذي دفعه عماد لهم جعلهم راضين بالأوامر، الأصعب عندما حاولت الغيلان المقاومة،، سقط الكثير من رجال سعد خميس ولكن الباقين واصلو حصد الرؤوس وبدا الأمر وكأنها مسابقة في حصد الرؤوس، فقد عرف الرجال ماذا يواجهون حقًا ولم يكن هناك مجال للتراجع.

تذكر عماد أنه منذ أيام فقط كان هو وسعد في تلك المقبرة وكان ما يزال تائهًا غير متذكر، ورأى نظرات الخوف في عين سعد وقتها وهو يرفع الرافعة الحديدية ليهبط على الصندوق الخشبي بجواره.

ليتحطم غطاء الصندوق وتظهر أكوام الصور بالداخل، صور أخذها جده منذ فترة طويلة وقام بتحميضها، تنفس سعد الصعداء وقتها فقد ظن للحظة أن عماد جره ليدفنه بالمقبرة، وقتها كان عماد قد تذكر كل شيء.

بداية من مقابلته لأشرف جلال وحصوله على مبلغ المليون جنيها، وكيف أخفاها لدى فتحي صديقه في غرفة خاصة، وحصوله أيضا على مبلغ العشرة مليون جنيها من غادة، ووضع الحقيبة التي بها المبلغ كأمانات لدى فندق في العجوز، وعاد بعدها بفترة ليأخذ المبلغ فقد قرر شراء فيلا خاص ليتزوج بها، كان ثمة شيء يدفعه لتنفيذ كل هذا، كان يستطيع أن يواصل ابتزاز الجميع خصوصا بعد حصوله من حازم على تلك الأفلام، ولكنه لم يكتسب الخبرة بعد، وفي نفس الوقت تذكره لمحاولة قتله أدرك أنه إذا لم يتخلص منهم سيتخلصون منه، وفي نفس الوقت أدرك إن هناك شيء يسكنه من الداخل شيء يسمى الصياد كما أطلق عليه جده في مذكراته، وكيف كانت تلك المذكرات تحكي عبر أجيال

كيف تجذب تلك العدسات كل ماهو شرير وقاتل، عدسات شيطانية حقًا، وكان على عماد أن ينسى كل هذا، ولم يتصور قطّ أنه عند زيارته للاستوديو بعد زواجه بفترة أنه ستهاجمه تلك الحالة العجيبة فينسى كل شيء حتى زواجه.

مكان سيارته التي تركها في مرآب في وسط البلد نسيه أيضًا.

عقله الباطن كان يرفض الفكرة المجنونة التي أعدها، واتفاقه مع سعد خميس على أشياء لم تدر بخلده قطّ، وقد طلب من سعد أن يتكتم الأمر حتى عن نفسه إلى وقت التنفيذ، تسرب حرف واحد كاف ليهدم كل شيء.

هذا بالإضافة لأوامره لغادة أن يحضر معها الحفلة القادمة، لم يكن أمام غادة إلاّ أن توافق.

رأى عماد جثة غادة أسفل قدميه، وانتبه أنه ما زال يحمل رأسها بيده ممسكا شعرها والدماء تقطر أسفل قدميه، بحر من الدماء كان يجري حوله، بحر من دماء مختلطة بينها غيلان، وبينها بشر عاديين، ولكنها ضريبة، القصر تحول إلى مذبح، مذبح مميت، الغيلان كلما كانت تقترب منه تلمح تلك السلسلة على صدرها بنجمتها العجيبة فتفر مبتعدة.

* * * * *

من الجليّ أن لا شرطة ستقترب من المكان مهما حدث فيه

اليوم، فالكبير وقصره من الممنوعات، ليس هناك داعي لشرح المجزرة التي تمت.

يكفي أن هناك جثثًا تترامى في كل مكان مبعثرة ككرات بلياردو بعد ضربة البداية بلا نظام.

راح عماد يبحث بعينيه عن الكبير كما يطلقون عليه، ولكنه كان قد تبخر من المكان.

كان عماد يقف في تلك اللحظة أمام سامح، بدا سامح ضعيفًا بتلك الجراح في جسده فقد طالته بعض الطعنات من الرجال، بينما كان أشرف جلال قد تجندل أسفل قدمي عماد.

قال عماد ببساطة وهو يلوح بسكينه الضخم في وجه سامح:

- اهرب.

جرى سامح سبع خطوات تقريبا وهو يزمجر قبل أن يرى ذلك السيف يشق الهواء في اتجاه عنقه، ثم أظلم كل شيء، مسح سعد خميس السيف في مفرش مائدة بجواره وهو يقترب مبتسما من عماد:

- أظن أنه كان الأخير منهم، لم أتصور قطّ أن يكون لهم وجود حقًا.

ظهر التوتر على وجه عماد وهو يحاول أن يلمح جثة الكبير

في أي مكان ولكنه اختفى ولم يكن له أثر، وتساءل عماد هل يكون ذلك الشخص هو الشيطان نفسه.

قال عماد وهو يمسك يد سعد:

- اخرجوا الفتيات من الأقفاص واتركهن في أقرب مكان قريب للبشر، إنهن في حالة توهان وهذيان ولن يشعروا بأي شيء.

- هل من شيء آخر.

- كما اتفقنا، فرغوا القصر من كل محتوياته الغالية والنفيسة، ولا تترك وراءكم أثرا، ثم احرقوا المكان عن من فيه، أريده أن يتساوى بالأرض بحيث من يبحث وراءنا لا يجد سوى رماد الحريق.

وبدأ الرجال في تحميل السيارات النقل، بينما الجثث تفترش القصر وفي كل مكان

* * * * *

كان قد مرّ أسبوع تقريبا منذ احترق قصر الكبير عن آخره، الوحيد الذي نجا من المذبحة كان هذا الشيطان، بينما هناك شخص سعيد الحظ لم يحضر الحفلة وقتها اسمه حازم الجابري.

طيار سافر إلى فرنسا في رحلة ولم يعد حتى الحفل فنجا.

هذا سبب لعماد نوع من القلق ولكنه كان غير خائف فما مر به جعله بلا قلب تقريبًا.

كان عماد في تلك اللحظة داخل استوديو جده ومعه ذلك الصندوق الأسود الذي وجده داخل المقبرة، الصندوق كان كنزًا تركه له جده.

فالصور التي به تدين الكثير من الغيلان والوحوش التي لم يتصور أن لها وجود في الحياة.

كان يعد ملف لكل شخصية من الشخصيات، وكان جده قد وفر عليه الكثير بكتابة بيانات الصور خلف كل صورة.

ارتفعت دقات فجأة على باب الأستوديو، تعجب عماد، وضع المسدس في جيبه وهو يتحرك تجاه الباب بحذر قلق، جاءت الدقات ضعيفة هذه المرة وهو يقترب من الباب.

فتح الباب فوجدها أمامه، فتاة تبدو في منتصف العشرينات، ترتدى فستانا بسيطا، وقفت قبالته وهي تقول في بطء:

- أريد صورًا..

- نعم.

- أليس هذا أستوديو الخولي، جئت ليلتقط لي صورًا.

لم يعرف عماد ما الذي دفعه ليدخلها ويشير لها إلى السلم لتأخذ طريقها لأعلى.

أجلسها عماد على الكرسي أمام عدسة الكاميرا، وجه الأضاءة ناحيتها، وطلب منها أن تبتسم وشرع في التقاط صور لها.

لم يعرف ما الذي دفعه لتغير الكاميرا الحديثة بالكاميرا الملعونة، وجفل للحظة وهو يرى صورتها من عدسة الكاميرا، فقد برز للفتاة نابان بارزان بينما غطى الشعر وجهها كله وبدت أشبه برأس أسد مكشرا عن أنيابه.

وعندما رفع عينه عن العدسة ونظر لها وجدها كما هي فتاة عادية شاحبة الوجه تجلس أمامه ليلتقط لها صورة.

وقتها أدرك عماد وهو يداعب المسدس في جيبه أنهم لن يتوقفوا عن المجيء وإنه لن يتوقف عن القتل.

حياته أو حياتهم أن قدر الصياد قد كتب عليه.

صياد كل سلاحه عدسات شيطانية.

وأدرك عماد أنه لن يستعيد حياته الطبيعية قط.

وقال للفتاة ابتسمي وهو يلتقط مسدسه بحذر من جيبه.

وسمع صوت طلق نار يدوي في المكان وسط التماع فلاش كاميرا.

خاتمة (٢)

الأضواء تلمع، الضيوف يتسربون إلى الحفل، لا تعرف من أين يأتون وكأنهم ينبتون من عدم.

عماد يقف بسيارته أمام البوابة، يلمحه حارس الأمن، يبتسم ابتسامة مقيتة فيمد عماد يده بدعوة الحفل وهو يفتح له الباب، هدى تجلس بجواره وقد ارتدت ثوبا بسيط يبرز جمالها، تمرّ السيارة ويمرّ من جوارها المدعوون، الملابس مثيرة ولامعة، تقترب السيارة من المرآب، يهبط عماد ويتجه ليفتح الباب لهدى، التي تنزل وتنظر حولها في فضول، لم تحضر حفل كهذا من قبل، تتأبط ذراع عماد وتمشي كملكة متوجة، الأنظار تتجه إليها، تتمسك بيد عماد أكثر، شيء ما يرعبها من تحديق العيون بها.

يلقي عماد التحية على بعض الحضور وهو يمرّ من وسطهم وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة غريبة.

لم تر هدى هذا البذخ من قبل ولكنها حافظت على ابتسامتها المرسومة بدقة على شفتيها، فقد عرفت من عماد أن هذه الحفلة تمثل له أهمية كبرى، فهي من ستفتح لهم باب الحياة الجديدة كما يطلق عليها.

يجلسا على مائدة بجوار حمام السباحة الذي تدور حوله

الأضواء، يلمح غادة تقترب، تتبختر غادة في ثوب كاشف وهي توزع ابتسامتها وضحكاتها على الجمع، تتلمسها بعض الايدي في احتكاك واضح وتحرش ولكنها تتجاهل هذا حتى تصل إلى مكان عماد، فتبتسم ابتسامة ذئبية لهدى وهي تقول موجهة كلامها لعماد:

- أخيرا قررت أن تنضم إلينا.

ابتسم عماد هو الآخر وهو يمد يده بالتحية ويعرف هدى عليها، فتبتسم هدى وتقول إنها تعرفها وشاهدت معظم أفلامها، تتأملها غادة وتقول في صوت يحمل لؤم واضح أن هدى تصلح أن تكون نجمة سينما، فتتسع ابتسامة هدى، تغمز غادة لعماد قبل أن تنصرف متابعة طريقها وسط الحاضرين.

تمرّ فقرات الحفل رائعة ومبهرة في البداية، ثم تبدأ الأضواء في الخفوت تباعًا، ثم يبدأ صوت عجيب وموسيقى عجيبة ترتفع بغتة في المكان، يظهر ذلك الشخص صاحب الحفل يتحرك باتجاه حمام السباحة تتجه الأنظار إلية، كان يمسك في كل يد مقود لكلبين ضخمين تبدو الشراسة على ملامحهما، كان حجم الكلبين مخيفا بحق، وكان هو يتحرك في بطء، فتلتف حوله العيون، تلمع عين هدى في تساؤل وخوف وهي تمسك بيد عماد، يربت عماد على يدها، ويمد يده بمشروب أخضر اللون لها، تتأمل المشروب قبل أن يقول

لها عماد بصوت آمر اشربي لتهدئي، تتناول المشروب وعيناها متسمرتان على صاحب الحفل الذي جلس أخيرًا على مقعد ضخم بجوار الحمام وهو يمسك الكلبين اللذين انطلقت زمجرتهما عنيفة ومخيفة، تجرعت هدى الكأس مرة واحدة، وراحت تنظر في عيني عماد، لماذا شعرت بغتة بعد لحظات أن لون عيني عماد قد تغير، حاولت أن تقول شيء، ولكنها شعرت بدوار وشعرت بالضعف فجأة، بل شعرت أن معدتها تتقلص بعنف، قالت في ضعف وخفوت إنها تشعر بألم في معدتها، ربت عماد على يديها وقال لها إنها ستعتاد على الأمر، ومرر لها كوب من الشراب لتشربه، رفعته على شفتيها وهي تشعر أنها لا تتحكم في إرادتها، بل هناك شيء مخيف يحدث.

لم تمر وهلة حتى انطفأت الأنوار كلها، كتمت هدى صرخة بين شفتيها، وارتفعت زمجرة الكلبين معا، وفجأة رأتهم أمامها مع ضوء مشاعل تقترب، رجال نصف عراة، يدفعون قفص حديديا، وبداخلها طفل وفتاتان، تساءلت بداخلها عن معنى هذا، قبل أن يقترب الرجال من منتصف الحديقة بجوار حمام السباحة ويفتحوا القفص ويدفعون من بداخله للخارج، وتراجعت هدى بظهرها للخلف وهي تلمح الدماء من الجروح التي تظهر واضحة على جسد الفتاتين والطفل، كان تريد أن تصرخ ولكنها شعرت بحاجة أخرى، شعرت أنها تحتاج أن تأكل بشدة، وفي ثانية واحدة اندفع الكلبين تجاه الفتاتين

والطفل، وراحا ينهشان فيهما بأسنانهما بصوت وحشية رهيبة،شعرت هدى بتقلص في أمعائها، ما أدهشها أكثر أن الحضور راحوا يندفعون تجاه الفتاتين والطفل وسط ذلك الضجيج الرهيب والموسيقى الغامضة، الكلبان اقتطعتا أجزاء من أجساد الفتاتين وعادا إلى أصحاب الحفل وهما يحملان لحما ممزقا مليء بالدماء، فقرب صاحب الحفل يده إلى رأس الكلبين ومد يده وسحب قطع اللحم وراح يمزقها بأسنانه في نهم، وكأنه أصدر أمر آخر بالهجوم ففى تلك اللحظة كانت هدى تجري بجوار عماد تجاه الأجساد الممزقة، وهي تشعر بشراهة غريبة للحم والدماء، كان عماد يقتطع قطعة من اللحم من جسد الطفل وهو يتذكر ما حدث له منذ البداية، والجنون يلمع في عينيه بدرجة رهيبة، وفي تلك اللحظة كانت شفتي هدى ملوثة بالدماء وهناك قطعة من اللحم تلوكها بين أسنانها في نهم، وتلمع في عينيها نظرة متوحشة وهي تطلق زمجرة وحشرجة من حلقها مرعبة.

وعماد يربت على خدها بهدوء وتلمع عيناه في توحش وهو يتذكر تلك المقبرة.

كان سعد خميس يقف بجواره آنذاك وهو يرفع الرافعة الحديدية وينهال بها على رأسه، لم يعرف كم ضربة ضربها على رأس سعد خميس، ولكنه بعد لحظات كان يجلس بجوار

الجثة ويفتح الصندوق الخشبي ويستخرج مجموعة من السكاكين والشفرات وراح يمزق اللحم ويتناوله داخل القبر في تلذذ ووحشية رهيبة، كيف بدأ كل هذا، كان يتذكر وقتها جيدًا كيف حصل على أموال من أشرف جلال ومن غادة وكيف أخفاها لفترة في فندق في العجوزة، وعندما استعادها وقرر أن ينقل مكانها لبيت فتحي، لم يمش أكثر من خمس خطوات حتى انقضوا عليه وحملوه في تلك السيارة السوداء إلى هذه الفيلا، كانت غادة قد قالت لصاحب الفيلا عن كل شيء خصوصًا بعدما أخبرها أنه شاهدها مع شخص يمران بسيارتها بجوار الفيلا، والخيانة في عرفه معناها الموت لها، فاعترفت له بالتهديد وبعماد وبالصور وبحالة الاستسلام التي وجدت نفسها تخوضها ناحية عماد.

دخل عماد القصر وهو مكبل، استقبله صاحب القصر في حفاوة غريبة، قال له إنه سيتركه يمارس ما يفعله ولكن بشرط واحد أن يكون منهم وليس وحده عليه أن يحضر امرأة لتشاركه الأمر، فالغيلان يجب أن تتكاثر وإلا انقرضوا، الأمر ليس بيد صاحب الفيلا ولكن بسبب مرور الزمن وقلة الغيلان حاليًا وخصوصا منذ الشدة المستنصرية التي قتل فيها الكثير منهم.

جاءه الأمر بأن يضم آخرون ويصنع غيلان جديدة وإلاّ الفناء

لكل الغيلان، وكان على عماد أن يقرر وقتها إما أن يتحول لوجبة في بطونهم وإما أن ينضم إليهم ويمارس عمله في تهديد أي وحوش أخرى، فعالم الوحوش مليء ولن تكون الغيلان آخر الوحوش.

الكاميرتان معه وطريقة التحميض معه، والأفلام جلبها له حازم من الخارج وكان عليه أن يختار.

الاختيار أما تقديم شخص يحبه ليكون وليمة أو شخص يحبه ليكون غولًا

وفي لحظة رهيبة من التفكير والألم، اختار أن يعيش كغول.

وعليه أن يكون تنصيبه بعد زواجه بفترة تسمح لمعاشرة زوجته كآدمي عادي.

لم يكن قد مرّ ثلاث أيام منذ حضر حفلة كهذه الحفلة وتم تنصيبه كغول جديد، وعند خروجه من الحفل ذهب للاستوديو، عقله رفض كل هذا، ففقد ذاكرة الشهرين منذ بداية اللعنة التي أصابته.

لعنة صور مميتة جلبت له نهاية لا يعرفها ولا يعرف لمتى سيستمر هكذا.

لمعت عيناه بشدة وهو يقتطع قطعة لحم أخرى من جسد الفتاة التي تمزق جسدها بين أفواه الغيلان ويدفعها إلى فم

هدى التي كانت تبتسم له في وحشية غريبة وتلمع عيناها بصورة رهيبة.

تحسس عماد المسدس في جيبه الذي فكر كثيرًا أن ينهي به حياته قبل أن ترتفع ضحكته عالية لأقصى درجة.

وارتفع ضوء فلاش فجأة ونظرت الغيلان حولها، كان هناك سامح صديق عماد يقف يلتقط لقطات للحفل وهو يحمل كاميرا خاصة يعرفها عماد جيدًا، ويعرف أن صديقه الآن يشاركه الهوايتين.

التصوير وصيد البشر.